

المركز الإستشاري للدراسات والتوثيق

سلسلة البحث الراجع

سلسلة غير دورية تبحث في سياق توثيقي موضوعات محددة

تفكيك الشيفرة البوتينيّة

عرّابو فكر فلاديمير بوتين

العدد السادس والخمسون - كانون الأول 2022



تفكيك الشيفرة البوتينيّة

عرّابو فكر فلاديمير بوتين

سلسلة البحث الراجع

سلسلة غير دورية تبحث في سياق توثيقي موضوعات محددة، دون التدخل فيها بالتحليل أو بالمناقشة.

العنوان: تفكيك الشيفرة البوتينيّة، عرّابو فكر فلاديمير بوتين

الناشر: المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق

إعداد: مديرية الدراسات الاستراتيجية

تاريخ النشر: كانون الأول 2022

رقم العدد: السادس والخمسون

العنوان: بئر حسن- جادة الأسد- خلف كافيه 77 - الفانتزي وورلد سابقًا - بناية الورود- الطابق الأول

هاتف: **01/836610**

فاكس: **01/836611**

خليوي: **03/833438**

Postal Code: **10172010**

P.o. Box: **24/47**

Beirut- Lebanon

E.mail: dirasat@dirasat.net

http//www.dirasat.net

ثبت المحتويات

المقدّمة*

تتشكّل البلدان، ومن ضمنها روسيا، من خلال الموروثات التاريخية. ومع ذلك قد يلعب الأفراد دورًا أكبر في تشكيل الدولة وثقافتها وهويّتها الوطنية. في حالة القادة الروس، كان بطرس الأكبر هو الذي أدخل إصلاحات ثورية وتمكّن من فتح "نافذة على أوروبا" للروس. وكانت إليزابيث بتروفنا هي التي واصلت عملية التغريب. وكان ألكساندر الثاني هو الذي غيّر وضع الإمبراطورية الروسية الاجتماعي والسياسي بإلغاء القِنانة[1]. وفي وقت لاحق شكّلت الأفكار والأفعال الشيوعية لفلاديمير لينين وجوزيف ستالين وميخائيل غورباتشوف الدولة الروسية والهويّة الروسية بشكل كبير. ونرى اليوم فلاديمير بوتين يحاول إعادة بناء القوّة الروسية ووجودها الدولي بناءً على رؤيته التي أسماها كثيرون "البوتينية".

في بلد مثل روسيا تمتلك الأفراد فيها تأثيرًا كبيرًا على سياسات الدولة، فإن رؤية الرئيس الروسي لبلاده، وفهمه لتاريخها وقيمها، علاوة على تجاربه الشخصية السابقة، تصبح عاملًا محدّدًا في الحياة السياسية. وتختلف الآراء حتى اليوم حول ما يمثّله فلاديمير بوتين. فيقول الفيلسوف الروسي ألكسندر زينوفييف "لقد مثّل وصول بوتين إلى السلطة أوّل محاولة جادّة تقوم بها روسيا لمقاومة الأمركة والعولمة". ويضيف "لديّ شعور بأنه لا الغرب ولا سلف بوتين الذي اختاره يدركان إمكانات ذلك الرجل". أما الكاتب الروسي ألكسندر سولجينتسين فقد جادل بأن "بوتين يمثّل لغزًا من نواحٍ كثيرة. لا نعرف كيف سيتصرّف كرئيس. هو واقف عند مفترق طرق. إما أن يستسلم لرعاته ويقود البلاد حتمًا إلى الخراب أو يمكنه كسر رغبة من حوله ومتابعة سياساته الخاصة".

ونظرًا لتصاعد التوتر في العلاقات بين روسيا والغرب في السنوات الأخيرة، ازداد الاهتمام بالنظام الذي بناه فلاديمير بوتين تدريجيًا. وأصبحت أفكار بوتين وسيرته موضوعًا للعديد من الكتب المنشورة مؤخرًا. ولم يعد بوتين رئيسًا للدولة فقط، بل أصبح في نظر الكثيرين "روسيا نفسها". ويقول فياتشيسلاف فولودين، وهو مسؤول رفيع في الكرملين: "إذا كان هناك بوتين، هناك روسيا. وإذا لم يوجد بوتين، لا توجد روسيا"[2]. واعتبر البرلماني الروسي السابق سيرغي ماركوف أن روسيا لديها "مؤسسات ضعيفة وقائد قوي جدًا. لذلك يعدّ بوتين أعلى من المؤسسات الروسية وأقوى منها. ومن دون بوتين لن تستطيع المؤسسات الروسية الضعيفة الحفاظ

---

* إعداد الباحث في المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق محمد حسن سويدان

[1] حالة من الرقّ أو العبودية ظهرت أولًا في أوروبا خلال العصور الوسطى. وكان القِنّ يجبر على العمل في حقول ملّاك الأراضي، في مقابل الحماية والحق في العمل في الحقول المستأجرة. لم تكن القِنانة تنطوي على عمل الحقول فقط، بل شملت مختلف الأعمال المتعلقة بالزراعة، مثل الحراجة والنقل (سواء البري أو النهري) والحرف اليدوية وحتى في الإنتاج.

[2] Brian Taylor, "The Code of Putinism", Oxford University Press, July 19, 2018.
https://global.oup.com/academic/product/the-code-of-putinism-9780190867324?cc=lb&lang=en&

على وحدة البلد، والاستقرار الاجتماعي وقد تتجه روسيا نحو الانهيار"[3]. ويجادل البعض أن ضعف المؤسسات وقوّة الرئيس جعلا من روسيا ضعيفة داخليًا وطموحة بشكل كبير خارجيًا.

من هنا يصبح فهم هذا الرجل ضرورة لفهم السياسة الروسية خلال العقدين الماضيين حتى اليوم. ولكي يتم تفكيك الشيفرة البوتينية تتبّع هذا البحثُ خطابات الرئيس فلاديمير بوتين وكتاباته ومقابلاته وقراراته السياسية والثقافية وأهم أقوال وكتابات شخصيّات مقرّبة منه وتم على أساسها استخلاص أهمّ تسعة أشخاص كانوا لهم تأثّير على الرئيس الروسي وشكّلت أفكارهم أُسس الخلفيات الفكرية والتاريخية والسياسية التي تؤثّر على رؤية بوتين في السياسة الداخلية والخارجية. يتضمن هذا البحث عرضًا لأبرز مراحل حياة هؤلاء الأشخاص التسعة الذين اخترناهم وأفكارهم وتوجهاتهم السياسية ذات الصِلة بقرارات وأفكار بوتين[4].

جدول رقم 1: معلومات حول الشخصيات التسعة الأكثر تأثيرا على أفكار بوتين

	الاسم	حياته	العصر	الدور
1	إيفان الكسندروفيتش إيليين	1954-1883	روسيا الإمبراطورية والاتحاد السوفياتي	فيلسوف
2	نيكولاي ألكساندروفيتش بيردييف	1948-1874	روسيا الإمبراطورية والاتحاد السوفياتي	فيلسوف
3	ألكسندر جليفيتش دوغين	1962-مستمر	الاتحاد السوفياتي وروسيا الحديثة	فيلسوف ومنظّر
4	نيكولاي ميخائيلوفيتش كرامزين	1826 -1765	روسيا الإمبراطورية	كاتب ومؤرّخ
5	ألكسندر إيزاكي سولجينتسين	2008-1918	الاتحاد السوفياتي وروسيا الحديثة	كاتب ومؤرّخ
6	بيتر أركاديفيتش ستوليبين	1911 – 1862	روسيا الإمبراطورية	سياسي- رئيس حكومة
7	أنطون إفانوفيتش دينيكين	1947-1872	روسيا الإمبراطورية والاتحاد السوفياتي	جنرال عسكري
8	أناتولي ألكساندروفيتش سوبتشاك	2000 – 1937	الاتحاد السوفياتي وروسيا الحديثة	سياسي وقانوني
9	فلاديسلاف يوريفيتش سوركوف	1964-مستمر	الاتحاد السوفياتي وروسيا الحديثة	سياسي

[3] Brian Taylor, "The Code of Putinism", Oxford University Press, July19, 2018.
https://global.oup.com/academic/product/the-code-of-putinism-9780190867324?cc=lb&lang=en&

[4] يمكن ملاحظة أن ألكسندر دوغين وفلاديسلاف سوركوف وأناتولي سوبتشاك كان لهم حيّز أكبر من النخب الأخرى ويعود ذلك بشكل أساسي إلى أنهم عاصروا بوتين قبل انهيار الاتحاد السوفياتي وأثناء حكمه لروسيا الحديثة.

أولًا: فلاديمير فلاديميروفيتش بوتين

1.1 السيرة الشخصية

عند ولادة فلاديمير بوتين اعتبره والداه "هدية لقاء كل معاناتهم السابقة وحرمانهم". وكان والداه قد رُزقا بولدين قبله لكنهما ماتا في سن الطفولة قبل أن يولد بوتين. كانت طفولة بوتين صعبة لأنه ولِد لعائلة فقيرة يعمل فيها الأب، فلاديميروفيتش بوتين، ميكانيكيًّا والأم، ماريا إيفانوفنا، في مصنع. وقبل أن يدخل ميدان السياسة، عاش نصف حياته في شقة مشتركة حيث تتقاسم العديد من العائلات المرافق الأساسية.

كان جد بوتين لأبيه، سبيريدون إيفانوفيتش بوتين، طبّاخًا مميّزًا وعمل لفترة في المنزل الريفي للرئيس السوفياتي فلاديمير لينين. كما عمل سبيريدون في المقرّ الريفي للجنة مدينة موسكو للحزب الشيوعي للاتحاد السوفياتي، حيث زاره الشاب فلاديمير بوتين مرارًا. لم يكن فلاديمير بوتين في صغره شخصية مميّزة أو شخصية تمتلك مزايا قيادية فريدة، بل كان تلميذًا لا يحب الدرس وغير متفوّق في مدرسته. استمر على هذا الحال حتى أصبح في الصف السادس، حين أخذت علاماته المدرسية تتحسّن بشكل ملحوظ، وبدأت تظهر سِماته القيادية. وقد أبدى بوتين اهتمامًا خاصًا بالتاريخ والأدب منذ صغره. ويذكر أحد زملائه في الفصل أنه "ناعمًا ومتواضعًا وحتى خجولًا ولكنه يتمتع بشخصية فولاذية".

حاول بوتين ممارسة لعبة الملاكمة لكنها لم تلائمه واعتبرها تجربة غير ناجحة. وفي خريف عام 1965 انضمّ إلى نادي "ترود" الرياضي. هناك التقى مدرّبه، أناتولي راكلين، الذي كان له تأثير عميق في تطوّره على الصعيد الرياضي. بدأ بوتين مساره الرياضي بلعبة السامبو، وأصبح محترفًا فيها، ثم انتقل إلى الجودو، وحاز الحزام الأسود فيها. يقول بوتين "الجودو ليست مجرّد رياضة. إنها فلسفة. إنها احترام لكبار السنّ ولخصمك. الجودو ليست للضعفاء"[5]. كانت الرياضة بالنسبة لبوتين وسيلة للانضباط، فيقول: "لو لم أبدأ بالرياضة فمن يدري ماذا كان سيحدث. الرياضة هي التي أخرجتني من الشارع".

في شبابه انجذب فلاديمير للعمل في المخابرات السوفياتية، التي كانت تُعرف آنذاك باسم لجنة أمن الدولة (KGB)، فعمل هناك لمدّة 15 عامًا من 1975 إلى 1990. وقد أمضى السنوات الخمس الأخيرة له في المخابرات في جمهورية ألمانيا الديمقراطية (GDR)، أي نصف ألمانيا الشيوعي، حتى سقوط جدار برلين في عام 1989.

بعد أن ترك المخابرات السوفياتية عمل بوتين مع أستاذ القانون أناتولي سوبتشاك، وارتقى بسرعة ليصبح ذراعه اليمنى عندما أصبح سوبتشاك عمدة مدينة سان بطرسبرغ. وبعد أن فشل سوبتشاك في الفوز بولاية ثانية عام 1996 عُرض على بوتين العمل في الكرملين. وبمجرد وصوله إلى موسكو، بدأ صعوده سريعًا جدًا، من مسؤول في الإدارة الرئاسية إلى مدير لجهاز الأمن الفيدرالي (FSB)، إلى رئيس للوزراء. وفي 31 كانون الأول 1999 استقال الرئيس بوريس يلتسين وتولّى بوتين منصب القائم بأعمال الرئيس حتى الانتخابات التي أجريت في 26 آذار 2000 حيث أصبح رئيسًا للاتحاد الروسي لمدة أربع سنوات.

---

[5] Richard Sakwa, "Putin Russia's Choice", Routledge, 2004

جدول رقم 2: جدول زمني لأبرز مراحل حياة الرئيس الروسي فلاديمير بوتين

السنة	الحدث
7 تشرين الأول 1952	ولد فلاديمير فلاديميروفيتش بوتين في مدينة لينينغراد الروسية.
1968-1960	التحق فلاديمير بوتين بالمدرسة الابتدائية رقم 193 في لينينغراد. بعد الصف الثامن التحق بالمدرسة الثانوية رقم 281، وهي مدرسة تركّز على الكيمياء تحت رعاية معهد تكنولوجي، وأكمل دراسته هناك حتى عام 1970.
1970	أصبح فلاديمير بوتين طالبًا في قسم القانون بجامعة ولاية لينينغراد، وحصل على شهادته عام 1975.
1971	حصل فلاديمير بوتين على الحزام الأسود من الدرجة الأولى في لعبة الجودو.
أواخر 1970 وبداية 1980	درس بوتين في مدرسة المخابرات السوفياتية، KGB، رقم 1 في موسكو.
1983	تزوّج فلاديمير بوتين من ليودميلا شكريبنيفا. كانت ليودميلا تعمل كمضيفة طيران عندما تعرّف عليها بوتين.
1985	رُزق بوتين بابنته الأولى ماريا، التي أسماها على اسم والدته.
1986	رُزق بوتين بابنته الثانية كاترينا، التي أسماها على اسم والدة زوجته.
1990-1985	عمل فلاديمير بوتين في ألمانيا الشرقية. خلال فترة خدمته تمت ترقيته إلى رتبة مقدّم وإلى رتبة مساعد أول لرئيس القسم.
1989	حصل على الميدالية البرونزية الصادرة في جمهورية ألمانيا الديمقراطية، من أجل الخدمة المخلصة للجيش الشعبي الوطني.
1990	أصبح فلاديمير بوتين مساعدًا لرئيس جامعة لينينغراد الحكومية المسؤول عن العلاقات الدولية.
1991	بدأ بوتين العمل كرئيس للجنة العلاقات الدولية في بلدية مدينة سان بطرسبرج.
1994	شغل منصب نائب رئيس بلدية مدينة سان بطرسبرج.
1997	عُيّن نائبًا لرئيس أركان المكتب التنفيذي الرئاسي ورئيسًا لمديرية الرقابة الرئيسية.
1997	حصل على درجة الدكتوراه في الاقتصاد من جامعة سان بطرسبرغ للتعدين، وكانت أطروحته حول التخطيط الاستراتيجي للاقتصاد المعدني.
1998	عُيّن بوتين نائبًا أوّل لرئيس ديوان الرئاسة، وفي تموز 1998، عُيّن مديرًا لجهاز الأمن الفيدرالي.
آذار 1999	شغل منصب أمين مجلس الأمن في الاتحاد الروسي.
آب 1999	عُيّن بوتين رئيسًا لوزراء الحكومة الروسية.
31 كانون الأول 1999	أصبح فلاديمير بوتين رئيسًا بالنيابة للاتحاد الروسي.
26 شباط 2000	تم انتخاب فلاديمير بوتين رئيسًا لروسيا.
2004	وأعيد انتخاب بوتين لولاية ثانية.
2008	تم تعيين بوتين رئيسًا للوزراء بأمر تنفيذي رئاسي.
2012	تم انتخاب فلاديمير بوتين رئيسًا لروسيا.
2013	حاز بوتين على الحزام الأسود من الدرجة التاسعة في لعبة الجودو.
2014	انفصل فلاديمير بوتين عن زوجته ليودميلا شكريبنيفا. منذ انفصالهما ظهرت العديد من الشائعات عن ارتباطه بأكثر من شابة روسية بالسر.
2018	أعيد انتخاب فلاديمير بوتين رئيسًا لروسيا.

1.2 عناصر البوتينية

في كتاب "الشيفرة البوتينية"[6] يعتبر الكاتب براين تايلور أن البوتينيّة تتألّف من ثلاثة عناصر أساسية هي الدولانية، بما في ذلك دولانية القوّة العظمى، ومعاداة الغرب وبالأخص أميركا، والمحافظة ومعاداة الليبرالية. بالنسبة للعنصر الأول، تعتبر البوتينية أن بناء دولة قوية شرط لصعود روسيا. ففي أول خطاب رئيسيّ له كرئيس للدولة أعلن بوتين أن بناء دولة قوية هو "مفتاح ولادة روسيا من جديد وصعودها". يعتبر كثيرون أن الدولة القوية في نظر بوتين يجب أن تعطي الأولية للدولة على الفرد. فالدولة البوتينية بنظر كثيرين تتوقّع من المواطنين خدمتها. كما أن البوتينية تنظر إلى الدولة على أنها دولة قوّة عظمى وليست دولة عادية. في العام 2003 قال بوتين: "كل تجاربنا التاريخية تظهر أن دولة مثل روسيا لا يمكنها أن تعيش وتتطور في حدودها الحالية إلا إذا كانت قوّة عظمى. في جميع الفترات التي كانت فيها البلاد ضعيفة، سياسيًا أو اقتصاديًا، واجهت روسيا دائمًا وبشكل حتمي خطر الانهيار". بمعنى أنه يجب أن تكون روسيا قوة عظمى لا منعاً لمحاربتها وعزلها عالميًا فقط، ولكن أيضًا حتى تتمكن من مقاومة التعدّيات على سيادتها والوقوف في وجه أولئك الذين يتدخّلون في نظامها السياسي الداخلي. ومن هنا جاء مفهوم "الديمقراطية السيادية" الذي أعلنه فلاديسلاف سوركوف والذي نشرحه لاحقًا في هذا البحث.

العنصر الثاني هو معاداة الغرب بشكل عام وأميركا بشكل خاص. هذا العنصر ظهر بشكل قوي بعد العام 2004، أي بعد الثورات الملوّنة التي حدثت في أوراسيا ما بعد الاتحاد السوفياتي. فالهاجس الأول دائمًا في عقل بوتين هو تفكّك روسيا، لذلك اعتبر أن الثورات الملوّنة هي اختراع أميركي يهدف في النهاية لتعزيز النزعات الانفصالية داخل روسيا نفسها. ويقول سكرتير مجلس الأمن الروسي نيكولاي باتروشيف: "يحاول الأميركيون جرّ روسيا إلى صراع عسكري داخلي باستخدام الأحداث الأوكرانية للدفع نحو تغيير في السلطة في روسيا وصولا إلى تفكيك البلد."

العنصر الأخير للبوتينية هو المحافظة ومعادات الليبرالية. في كثير من الأحيان شدّد بوتين على أن روسيا كانت تاريخيًا مختلفة تمامًا عن أميركا الليبرالية، معتبرًا أن "الأشكال الجماعية للحياة كانت تهيمن دائمًا على الفردية" في روسيا وأن الشعب الروسي يتطلّع إلى الدولة والمجتمع ككل للحصول على الدعم بدلًا من الإيمان بجهودهم الخاصة. وقد أصبح تبنّي بوتين للمحافظة أكثر وضوحًا في ولايته الثالثة كرئيس، مع دفاعه عن القيم التقليدية والروحانية. كما أن الحرب في أوكرانيا التي اندلعت في شباط 2022 أبرزت هذه السِمة بشكل قوي فمعظم خطاباته بعد إندلاع الحرب وحتى تاريخ كتابة هذا البحث تهيمن عليها الأفكار المتعلّقة بالقيم والحضارة الروسية، وتهاجم بشكل كبير الليبرالية.

[6] Brian Taylor, "The Code of Putinism", Oxford University Press, July 19, 2018.
https://global.oup.com/academic/product/the-code-of-putinism-9780190867324?cc=lb&lang=en&

ثانيًا: النُخب الفكرية التي أثّرت في بوتين

1. إيفان ألكسندروفيتش إيلين (1883-1954)

"*مهمة روسيا هي حماية الحضارة و"الخير" من خلال إنتاج قائد عظيم ينقذ روسيا ويهزم الآخر الشرير*"

ولِد إيفان إيلين في 28 آذار 1883 في موسكو وهو من عائلة أرستقراطية. يُعتبر إيلين أحد أبرز الفلاسفة الروس في النصف الأول من القرن العشرين. كان يجيد اللغة الألمانية والفرنسية واللاتينية واليونانية والسلافية الكنسية.

بدأت المهنة العلمية لإيفان إيلين في عام 1910 عندما أصبح عضوًا في جمعية موسكو للطب النفسي، وتم نشر أول عمل علمي له بعنوان "مفهوم القانون والقوة". في نهاية ذلك العام ذهب إيلين وزوجته في رحلة علمية إلى ألمانيا وفرنسا. هناك درس إيلين أحدث الاتجاهات في الفلسفة الأوروبية، بما في ذلك فلسفة الحياة والظواهر، ووفقًا لبعض المصادر فقد اجتمع حينها مع فرويد.

كان الفيلسوف الألماني جورج هيغل الفيلسوف الأهم في حيات إيلين وقد كرّس له العديد من الأعمال العلمية، فأطروحته بعنوان " The Philosophy of Hegel as a Doctrine of the Concreteness of God and Humanity" تعتبر من أفضل التعليقات على فلسفة هيغل. في هذا العمل انتقد إيلين عدم قدرة "المفهوم المعقول" على إخضاع "العنصر اللاعقلاني" للعالم التجريبي.

لم يقبل إيلين أبدًا القوة السوفياتية وفي أحد مؤلفاته كتب: "الاشتراكية بطبيعتها حسودة، شمولية وإرهابية، والشيوعية تختلف عنها فقط من حيث إنها تظهر هذه السِمات علانية وبوقاحة ووحشية. كانت معارضة إيلين للدولة السوفياتية صريحة تمامًا، وكان من الداعمين للجيش الأبيض[7] أثناء الحرب الأهلية، وكان عضوًا في اتحاد الجيش الأبيض الجنوبي.

بحلول عام 1922، اعتقل إيلين ست مرات. الاعتقال السادس لإيلين كان الاعتقال الأخير، فبعد إلقاء القبض عليه أدين على الفور وحُكم عليه بالإعدام - رميًا بالرصاص. هذا الحكم شمل أكثر من 200 شخص من المثقفين والمبدعين في مختلف المجالات. ولم تستطع الحكومة السوفياتية تحمّل تصفية مثل هذا العدد من "العقول الذهبية". وقد أدرك لينين نفسه عدم القدرة على التفكير في إعدام إيلين حيث كتب: "ممنوع إعدام مؤلف أفضل كتاب عن هيغل"، في إشارة إلى أطروحة إيلين. لذلك تقرّر استبدال الإعدام بطرد جماعي إلى أوروبا، هذا الطّرد الذي سُجّل في التاريخ تحت اسم " سفينة فلسفية ".

[7] الحركة البيضاء التي يُدعى جناحها العسكري الجيش الأبيض كانت تضم القوات السياسية والعسكرية الروسية المناهضة للبلشفية بعد ثورة أكتوبر وحاربت الجيش الأحمر خلال الحرب الأهلية الروسية بين سنتي 1917 و1923.

بعد وصول هتلر إلى السلطة في عام 1933، دخل إيليين في صراع مع وزارة الدعاية الألمانية بسبب كتاباته. ونتيجة لذلك، فُصل إيليين من جامعة برلين وثم مُنع من التدريس في ألمانيا وحُظرت جميع أعماله المطبوعة ومُنع من إلقاء الخطب. وفي تموز 1938 أُجبر إيليين على مغادرة ألمانيا والانتقال إلى سويسرا. هناك، لم ترغب السلطات في منح إيليين حق الإقامة بل حاولت إعادته إلى ألمانيا، لكنها قبلت لاحقًا ببقائه شرط حظر أي نشاط سياسي له.

في عام 1934، صاغ إيليين "الفكرة القومية الروسية" التي كان جوهرها هو سيطرة إرادة الدولة على إرادة الفرد. كان هذا لأنه يعتبر أن الدولة فقط هي التي يمكن أن ترى ما هو "خير" ويمكنها أن تدلّ الناس على الطريق إلى ذلك.

رأى إيليين في روسيا مساحة أوروآسيوية كبيرة يسكنها الروس، الذين كان يعتقد أنهم أمّة متفوّقة. وفقًا لإيلين، فإن مهمة روسيا هي حماية الحضارة و "الخير" من خلال إنتاج قائد عظيم ينقذ روسيا ويهزم الآخر الشرير، وهنا يقصد الغرب. واعتبر إيليين أن لروسيا دورًا روحيًا كبيرًا فهي ليست " دولة فيها أفراد ومؤسسات، بل هي مخلوق خالد".

مع اندلاع الحرب الباردة، أصبح إيليين مقتنعًا بشكل متزايد بأن الغرب كان حريصًا على تدمير روسيا وأنه سيفعل كل ما يلزم لتحقيق هذا الانقسام الداخلي في روسيا. كتحذير لمواطني بلده، يجادل إيليين بأنه خلال هذه العملية سيستخدم الغرب أفكار "الدمقرطة" و "الفدرلة" و "انتصار الحرية" ضد روسيا لغرض واحد فقط هو جعلها ضعيفة.

في نهاية أيامه، كتب إيليين: "أنا أكتب وأضع كتاباتي جانبًا - كتابًا تلو الآخر، وأعطيها لأصدقائي والأشخاص ذوي التفكير المماثل لقراءتها ... وعزائي الوحيد هو هذا: إذا كانت روسيا بحاجة إلى كتاباتي عندها سيخلّص الرب كتبي من الدمار، وإذا لم يحتج إليها الله ولا روسيا، فأنا نفسي لست بحاجة إليهم أيضًا، لأني أعيش فقط من أجل روسيا".

نتيجة للمرض توفي إيليين بتاريخ 21 كانون الأول 1954. بعد وفاته تم حظر نشر أعماله في اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية. في نشرين الأول 2005 نُقل رماد إيليين وزوجته ناتاليا فوكاتش إلى مقبرة دونسكوي في موسكو. وفي عام 2006 تم إحضار مؤلفاته وكل ما يتعلق بالأرشيف المتعلق به من الولايات المتحدة الأميركية إلى روسيا ونُقلت إلى جامعة موسكو الحكومية.

استغرقت رقمنة الأرشيف المتعلق بإيليين أكثر من أربع سنوات. حتى اليوم تم نشر 27 مجلدًا من أعمال إيليين، ويتم استخدام الاقتباسات والنصوص منها على نطاق واسع في المدارس والجامعات الروسية. وفي 15 تموز 2012، تم الكشف عن أول نُصب تذكاري روسي لإيفان إيليين في مدينة يكاترينبرج.

عند البحث عن معلومات حول إيليين اليوم نجد أن معظم المصادر الغربية تصفه ب "الفيلسوف الفاشي". صحيح أن بعض كتابات إيلين تعكس أفكارا فاشية، لكنه أيضًا معروف بأفكاره الليبرالية. يهدف الغرب من وصف إيلين ب "الفيلسوف الفاشي" أن يتم ربط هذه الصفة بالرئيس الروسي الحالي فلاديمير بوتين لأنه متأثّر بأفكار إيليين، ولكن عند التدقيق نجد أن مجمل العبارات التي يقتبسها بوتين من إيليين تصبّ ضمن الفكر الليبرالي. فعلى سبيل المثال في نيسان من العام 2005 اقتبس بوتين حديثًا لإيليين قائلًا: "إن سلطة الدولة لها حدود. لا يمكنها تنظيم الإبداع العلمي والديني والفني. يجب ألّا تتدخل في الحياة الأخلاقية والعائلية واليومية، أو في حالة الضرورة القصوى تقيّد المبادرة الاقتصادية". وفي كانون الأول 2014، استخدم بوتين الكلمات التالية لإيليين: "مَن يحب روسيا يجب أن يرغب في الحرية من أجلها؛ أولًا وقبل كل شيء الحرية لروسيا نفسها، وأخيرًا الحرية للشعب الروسي، الحرية لنا جميعًا؛ حرية الدين والبحث عن العدل والإبداع والعمل والملكية".

في خطاب بوتين الشهير بتاريخ 22 شباط 2022، أي قبل بدء العملية العسكرية الروسية في أوكرانيا، طرح مجموعة أفكار تتناسب مع رؤية إيليين لأوكرانيا. فقد اعتبر إيليين أن "أي حديث عن انفصال أوكرانيا عن روسيا يجعلها عدوًا لدودًا لروسيا". واعترض على أنه يمكن للفرد أن يختار جنسيته واعتبر أن هذا مثل "أن تقرر الخلايا ما إذا كانت جزءًا من الجسم".

وفي خطاب ضم المناطق الأوكرانية الأربع، دونيتسك ولوهانسك وزاباروجيا وخيرسون، إلى روسيا ختم بوتين كلامه باستلهام حديث لإيليين حيث قال: "إذا كنت أعتبر أن موطني هو روسيا فهذا يعني أنني أحبّ وأتأمّل وأفكّر على الطريقة الروسية، أغني وأتحدّث بها؛ أؤمن بالقوّة الروحية للشعب الروسي وأقبل مصيره التاريخي بفطرتي وإرادتي. روح روسيا هي روحي، ومصيرها هو مصيري، ومعاناتها هي حزني، وازدهارها هو فرحي". مما لا شك فيه أن إيليين هو أحد الأشخاص الذين تأثّر بهم الرئيس الروسي الذي عبّر عن إعجابه بكتابات الفيلسوف الروسي في أكثر من مناسبة. ولا عجب في أن أحد السياسيين في الكرملين قال يومًا: "لقد تغير العصر – الحكومة الروسية اليوم تتحدّث بلغة إيفان إيليين".

2. نيكولاي ألكساندروفيتش بيردييف (1874-1948)

"الفكرة الروسية ليست فكرة ثقافة مزدهرة ومملكة عظيمة بل هي الفكرة الأخروية لمملكة الله"

ولِد بيردييف في مدينة كييف في 18 آذار 1874، وهو من عائلة عسكرية أرستقراطية. أمضى طفولته منعزلًا في المنزل، حيث خضع للتعليم المنزلي وسمحت له مكتبة والده بالقراءة على نطاق واسع. في عمر الرابعة عشرة كان بيردييف قد قرأ أعمال الفلاسفة الألمان هيغل وشوبنهاور وكانط.

في عام 1894 التحق بيردييف بجامعة كييف لدراسة القانون. وفي عام 1898 ألقي القبض عليه في مظاهرة طلابية ل "اتحاد النضال من أجل تحرير الطبقة العاملة"، كان بيردييف عضوًا مشاركًا فيها، وطُرد من الجامعة. بعد طرده من الجامعة استمر في المشاركة بأنشطة غير قانونية مما أدّى إلى نفيه داخليًا إلى وسط روسيا لمدة ثلاث سنوات، وهي عقوبة مخففة مقارنة بالعقوبات التي يواجهها العديد من الثوار الآخرين. أثناء وجوده في المنفى كتب كتابه الأول الذي بدأ فيه الانتقال من الأفكار الاشتراكية للماركسية إلى الشخصانية الوجودية. وعلى الرغم من أنه لم يكمل دراسته الجامعية ولم يحصل على شهادة جامعية، فقد حاضر في جامعة السوربون عام 1939، وحصل على الدكتوراه الفخرية في اللاهوت من جامعة كامبريدج عام 1947.

في عام 1904 تزوّج بيردييف وانتقل للعيش في مدينة سان بطرسبرغ، العاصمة الروسية ومركز النشاط الفكري والثوري حينها. هناك شارك بشكل كامل في الجدل الفكري والروحي، وفي النهاية ابتعد عن الماركسية الراديكالية وركّز اهتمامه على مواضيع الفلسفة والدين. على الرغم من أن بيردييف كان مسيحيًا مؤمنًا، إلا أنه كان غالبًا ينتقد الكنيسة المؤسسية. وبسبب مقال نشره في عام 1913 وانتقد فيه "المجمع المقدس للكنيسة الأرثوذكسية الروسية" تم اتهامه بارتكاب جريمة التجديف، وهو فعل إهانة أو إظهار احتقار أو عدم تقديس لله. عقاب هذه الجريمة كان النفي مدى الحياة إلى سيبيريا، إلا أن اندلاع الحرب العالمية الأولى والثورة البلشفية حالا دون إحالة قضيته إلى المحاكمة.

كان بيردييف رافضًا لحكم النظام البلشفي واعتبره نظامًا سلطويًا ومهيمنًا على حرية الفرد. وفي عام 1922 نُفيَ بيردييف إلى خارج البلاد وذلك بقرار من لينين ضمن حملة الحكومة البلشفية لنفي عدد كبير من المفكرين البارزين فيما يسمّى "سفينة فلسفية". بدايةً ذهب بيردييف إلى برلين، لكن الظروف الاقتصادية والسياسية في ألمانيا جعلته ينتقل إلى باريس في عام 1923. هناك أسّس بيردييف أكاديمية وقام بالتدريس وإلقاء المحاضرات والكتابة فيها. وفي السنوات التي قضاها في فرنسا كتب خمسة عشر كتابًا. رُشّح بيردييف سبع مرات لجائزة نوبل في الأدب ولكنه لم يفز بها.

توفي نيكولاي بيردييف، الفيلسوف الروسي من أصل أوكراني، بتاريخ 23 آذار 1948، بنوبة قلبية أثناء تواجده في مكتبه في منزله في بلدة كلامارت، على بعد عشرة كيلومترات من باريس. دُفن مُمثِّل "الوجودية المسيحية" و "الشخصانية الوجودية" الذي استعاد الجنسية السوفياتية قبل عامين من وفاته في مقبرة بلدية Bois-Tardieu في كلامارت.

يُعتبر بيردييف من أهمّ روّاد الفلسفة "الوجودية المسيحية". وعلى الرغم من أنه كان ماركسيّ الهوى في شبابه إلا أنه سرعان ما بدأ بانتقادها لأنها، حسب اعتقاده، أدّت إلى الشمولية وقيّدت الحرية وقلّلت من قيمة الفرد. وقد اعتبر العديد من المفكّرين الغربيين أن تأثير بيردييف كان "عالميًا" فهو بحسبهم "تجاوز كل الحدود

الطائفية، لأنه يتحدث إلى الناس بلغة يفهمونها سواء كانوا كاثوليكيين أو أرثوذكس أو بروتستانت، أو حتى من ديانات أخرى".

كغيره من المفكرين "الوجوديين" رأى بيردييف أن مبدأ الحرية له أهمية قصوى. بالنسبة له الحرية هي الحقيقة الأساسية أو الحقيقة الميتافيزيقية النهائية. اعتبر بيردييف أنه قبل كل شيء، وكأساس لكل شيء، توجد الحرية. فالحرية برأيه هي "المبدأ الأول" لكل الوجود. لذلك بينما تعلن وجودية سارتر أن "الوجود يسبق الجوهر"، مما يعني أنه قبل تفسيراتنا العقلانية لا يوجد سوى الوجود، يعتبر بيردييف أن "الحرية تسبق الوجود".

في كتابه "الفكرة الروسية" يعتبر بيردييف أن الفكرة الروسية ليست فكرة ثقافة مزدهرة ومملكة عظيمة بل هي الفكرة الأخروية لمملكة اللّه. ورأى أن الفكرة الروسية تتألّف من خمسة عناصر أساسية وهي الاشتراكيّة والعدميّة والفوضويّة والأخرويّة والمسيانيّة. كان بيردييف على عداء مع "المجتمع البرجوازي الرأسمالي"، وكان يعتقد أن العدالة الاجتماعية تساوي الاشتراكية. وفي الوقت ذاته كانت الاشتراكية التي يربطها بيردييف بالفكرة الروسية اشتراكية فردية ودينية.

جادل بيردييف بأن التحوّل الروحي للأفراد هو الوسيلة الوحيدة لخلق بديل من الفاشية والشيوعية. وكان يرى أن المسيحية مطلوبة للتغلب على "الدين الشيوعي المصطنع". وكانت لديه قناعة "بأن للمسيحية الروسية مهامّ خاصة متعلّقة بالمسيحية العالمية".

وفي رسائل الفيلسوف إلى زعماء الثورة الروسية، تحدّث بيردييف عن وحدة المصير وبقاء الأمة الروسية بقيمها النابعة من الثقافة والتاريخ، فالأمة برأيه هي جسم عضوي لا يمكن إلغاؤه بمجرد اعتناق نظريّة معيّنة، وهنا يقصد الشيوعية. وقد عبّر بيردييف عن رغبته في عودة الروح للثقافة الروسية ما قبل هيمنة النظريات، كالشيوعية، ورغبته في العودة نحو الأصل والتاريخ. فاعتبر أن الأمة لا تُعرف بالسيادة ولا بالدين أو العِرق فقط، الأمة هي المحافظة مع التجديد، هي العودة نحو الماضي والنظر بعيدًا للمستقبل، فنهاية روسيا وانطفاء الروح يعنيان سيادة الاستبداد وعصر الانغلاق، بحيث تصبح روسيا أسيرة أفكار جديدة نمطية ونهائية.

إن أفكار بيردييف وتوجّهاته المرتبطة بالدين والحرية وهويّة روسيا تتقارب بشكل كبير مع أفكار بوتين. لهذا يقوم بوتين غالبا باقتباس بيردييف، خاصة عندما يتحدّث عن الارتباط الديني للهوية الروسية. في عام 2014، طلب بوتين من حكّام روسيا الإقليميين قراءة كتاب "فلسفة عدم المساواة" لنيكولاي بيردييف. هذا الكتاب يتضمّن أفكار بيردييف حول الهوية الروسية ومكانة روسيا في العالم. يؤمن بوتين بأن الهويّة الروسية هي هوية فريدة، تمزج بين الحضارتين الشرقية والغربية. ويقول بيردييف: "إن الشعب الروسي ليس شعبًا من

أوروبا الغربية، وروح الشعب الروسي هي روح معقّدة ومتشابكة، حيث تصادمت وتخالطت بين تيّارين من تاريخ العالمين الشرقي والغربي"[8].

ولدى بوتين إيمان خاص يمزج بين الدين والسياسة، هذا الإيمان حاضر بشكل كبير في أفكار نيكولاي بيردياييف. يعتقد بوتين أن طريق روسيا فريد وأن المسيحية الأرثوذكسية هي أحد عناصر روسيا المميّزة. وهذا ما يراه بيردييف الذي يعتقد بأن "للمسيحية الروسية مهامّ خاصة متعلّقة بالمسيحية العالمية".

3. ألكسندر جليفيتش دوغين (1962-مستمر)

"الروس هم "شعب إمبراطورية" ومصير هذا الشعب هو التوسع الحضاري وبناء الإمبراطورية الروسية"

وِلِد ألكسندر جليفيتش دوغين في موسكو في 7 كانون الثاني 1962، وهو فيلسوف روسي وعالم اجتماع وأستاذ جامعي ومحلل سياسي واستراتيجي والمنظّم الرئيسي للجبهة البلشفية الوطنية. دوغين حاصل على أستاذية في العلوم الفلسفية، ودكتوراه في العلوم السياسية، بالإضافة لدكتوراه في العلوم الاجتماعية. ويتقن اللغات الإنجليزية، والألمانية، والفرنسية، والإسبانية، والإيطالية، والبرتغالية.

كانت بداية مسيرته العلمية في عام 1979 عندما التحق بمعهد موسكو للطيران (MAI)، لكنه طُرد من السنة الثانية. والسبب، بحسب المعهد، هو الأداء الأكاديمي المنخفض للطالب، لكن دوغين أعلن مرارًا أن سبب الطرد كان نشاطه المعادي للسوفيات. بعد تركه الجامعة، التحق دوغين ب "دائرة يوجينسكي"، وهي مجموعة دينيّة سرّية من المعارضين للسوفيات.

في الفترة من 1990 إلى 1992، عمل دوغين في أرشيف الكي جي بي، المخابرات السوفياتية، الذي رفعت عنه السّرية، وكتب على أساسه عددًا من المقالات الصحفية والمجلّات والكتب والبرنامج التلفزيوني "أسرار القرن"، الذي تم بثه على القناة الأولى.

منذ بداية التسعينيات، كان دوغين حريصًا بشكل خاص على التواصل مع ضباط الجيش: نظرًا لكونه من عائلة عسكرية وكان والده ملازمًا في مديرية المخابرات الرئيسية لهيئة الأركان العامة للقوات المسلحة للاتحاد السوفياتي، فقد كان مؤمنًا بأن الجيش والأجهزة العسكرية فقط هم من يتمتعون بإحساس حقيقي بالوطنية. لذلك كان ملاحظًا التعاون بين دوغين وضباط الجيش أثناء كتابة المقالات والكتب. فمثلًا، يُقال إن كتاب دوغين "أسس الجغرافيا السياسية" تمت كتابته بدعم من الجنرال إيغور روديونوف، الذي كان وزيرًا للدفاع في الفترة 1996-1997. وبفضل هذا الكتاب، دُعِيَ دوغين للتدريس في أكاديمية هيئة الأركان العامة

---

[8] Ben Forney, "Vladimir Putin's Alt-West", The Asan Institute for Policy Studies, June 27, 2017 https://en.asaninst.org/contents/vladimir-putins-alt-west/

وكذلك في معهد البحوث الاستراتيجية في موسكو. كما أن هذا الكتاب بات مطلوبًا للقراءة في الأكاديميات العسكرية الروسية. لذلك من المنطقي القول إن دوغين من المؤثّرين في النُخب العسكرية المحيطة بالرئيس الروسي فلاديمير بوتين.

وخلال الأشهر الأخيرة من عمر الاتحاد السوفياتي، أصبح دوغين قريبًا من الكاتب السوفياتي المحافظ ألكسندر بروخانوف، الذي عُرف في الثمانينيات بـ "الطائر المغرّد" لهيئة الأركان العامة السوفياتية. كان بروخانوف يحاول يائسًا صياغة أيديولوجية وطنية جديدة من شأنها أن تمنع انهيار البلاد وتوحّد المجموعات المتنوّعة المناهضة للبيريسترويكا[9].

بعد فترة وجيزة من حل مجلس السوفيات الأعلى، أعلى هيئة تشريعية للاتحاد السوفياتي، ومجلس نواب الشعب في الاتحاد السوفياتي، أعلى هيئة لسلطة الدولة في الاتحاد السوفياتي من 1989 إلى 1991، أنشأ دوغين الحزب البلشفي الوطني. جنبًا إلى جنب مع شركائه، بما في ذلك سيرجي كوريوخين وإيغور ليتوف وإدوارد ليمونوف، وقد وقف دوغين في مواجهة الرئيس الجديد وطوّر برنامجًا تميّز بموقف مناهض لأميركا لليبرالية.

في عام 1998 ترك دوغين الحزب البلشفي الوطني بسبب اختلاف في الآراء الأيديولوجية مع زميله في الحزب إدوارد ليمونوف. حينها راجع دوغين موقفه تجاه الحكومة الروسية، وبدأ مساره داخل الدولة من منصب مستشار لرئيس مجلس الدوما، قبل أن يترأس المركز الحكومي للخبرة الجيوسياسية في عام 1999.

في عام 2000، تفرّغ دوغين للنشاط العلمي وكتب عدّة محاضرات لجامعة موسكو الحكومية قبل أن يحاضر في نفس الجامعة في عام 2008. في الوقت نفسه أصبح دوغين رئيسًا لمركز أبحاث المحافظين، الذي كان يعمل على تشكيل أيديولوجية محافظة. ومن عام 2009 إلى عام 2014، شغل منصب رئيس قسم علم الاجتماع بالإنابة في جامعة موسكو الحكومية.

يصف البعض في الغرب دوغين بأنه "عقل بوتين" أو "فيلسوف بوتين". ويعتقد البعض أن دوغين كان العقل المدبّر وراء ضم روسيا لشبه جزيرة القرم كون دوغين أحد الداعين إلى أن تصبح أوكرانيا "قطاعًا إداريًا من روسيا"، وهي التي يشار إليها باسم نوفوروسيا[10]. يُعتقد أيضًا أن دوغين قد أرسى الأساس الأيديولوجي للغزو

---

[9] كانت البيريسترويكا حركة سياسية للإصلاح داخل الحزب الشيوعي السوفياتي في الثمانينيات (1986)، وكثيرًا ما ترتبط بالزعيم السوفياتي ميخائيل غورباتشوف وإصلاحه السياسي المعروف باسم غلاسنوست (تعني "الشفافية، الانفتاح"). تعني كلمة بيرسترويكا حرفيًا" إعادة الهيكلة"، وتشير لإعادة هيكلة النظام السياسي والاقتصادي السوفياتي. يعتبر كثيرون أن بيروسترويكا كانت سببًا في حل الاتحاد السوفياتي.

[10] مصطلح تاريخي للإمبراطورية الروسية يشير إلى إقليم شمال البحر الأسود الذي تشكّل في عام 1764. ضمّت نوفوروسيا تاريخيًا مدن خاركوف ودونيتسك ولوهانسك ومدن جنوب أوكرانيا منهم زاباروجيا وخيرسون وأوديسا.

الروسي لأوكرانيا عام 2022. قد تتباين الآراء حول درجة تأثير أفكار دوغين على الرئيس الروسي ولكن الثابت هو وجود أفكار دوغين في عقل بوتين.

3.1 دوغين والجوار الروسي

يرى دوغين أن الروس هم "شعب إمبراطورية" ومصير هذا الشعب هو التوسع الحضاري وبناء الإمبراطورية الروسية. وعنده أن التوسع الروسي "يحمل معنى حضاريًا وليس توسّعًا مصلحيًا يسيّره السعي وراء المستعمرات من أجل الصراع على المجال الحيوي". في كتابه "أسس الجيوبولتيكا: مستقبل روسيا الجيوبولتيكي" يقول دوغين: "الروس مستعدّون للسير نحو تقديم ما لا يمكن تصوّره من الضحايا وألوان الحرمان فقط من أجل أن تتحقق وتتطور الفكرة القومية، الحلم الروسي الكبير"، ويكمل دوغين "حدود الحلم الروسي تراه الأمة وفق أقل تقدير في الإمبراطورية". وبالتالي بحسب دوغين، فإن الجوار الروسي هو جزء من الإمبراطورية الروسية القائمة على الحضارة والثقافة الروسية.

قبل وقت قصير من بدء العملية العسكرية الروسية في أوكرانيا ألقى بوتين خطابًا طويلًا نفى فيه وجود أوكرانيا كدولة مستقلّة بذاتها. ولم يكن صعبًا للعديد من مراقبي بوتين مقارنة كلماته مع كتابات دوغين. يقول دوغين في إحدى كتاباته: "الغرب يعرف القليل أو لا يعرف شيئًا على الإطلاق عن التاريخ الحقيقي لروسيا. في بعض الأحيان يعتقدون أن الاتحاد السوفياتي كان من صنع شيوعي بحت وأن الدول مثل أوكرانيا أو كازاخستان أو أذربيجان كانت مستقلة قبل الاتحاد السوفياتي وغزاها البلاشفة أو أُجبرت على الانضمام إلى الدولة السوفياتية. الحقيقة هي أنهم لم يكونوا موجودين على هذا النحو مطلقًا فهم يمثّلون مقاطعات إدارية داخل الإمبراطورية الروسية بدون أي معنى سياسي أو تاريخي. تم إنشاء هذه البلدان في حدودها الحالية بشكل مصطنع فقط بعد انهيار الاتحاد السوفياتي ونتيجة لهذا الانهيار".

وفي خطاب بوتين الشهير بتاريخ 23 شباط 2022، ليلة بدء العملية العسكرية الروسية في أوكرانيا، تحدّث الرئيس الروسي عن تاريخ بلاده وعن السياق الذي أدّى إلى استقلال أوكرانيا. وخلال كلمته أكّد بوتين أن "أوكرانيا ليست مجرد دولة مجاورة لروسيا وإنما هي جزء لا يتجزأ من تاريخ روسيا وثقافتها". هذه الأفكار وغيرها في خطاب بوتين مستوحاة من كتابات دوغين ورؤيته لطبيعة العلاقة بين روسيا وأوكرانيا.

3.2 روسيا دولة جهوية

يرى دوغين أنه بعد انهيار الاتحاد السوفياتي سعى الغرب إلى أن يفرض على روسيا مهمة جيوبوليتيكية جديدة وأن يحوّل روسيا إلى بنية سياسية عاجزة عن المشاركة المباشرة في السياسة العالمية وعن أن تكون لها رسالتها الحضارية الواسعة. وفي تقرير بول ولفوفتس أمام الكونغرس الأميركي عام 1992 تم التأكيد أن "المهمة الاستراتيجية الرئيسة للولايات المتحدة الأميركية هي الحيلولة دون أن يقوم على أراضي الاتحاد

السوفياتي السابق تشكّل استراتيجي مستقل، وقوي، وقادر على تطبيق سياسة مستقلة عن الولايات المتحدة"[11].

يستند دوغين إلى هذا التقرير للتأكيد أنه بسبب "هذا المطلب الملحّ للغرب عُرض على روسيا دور "الدولة الجهوية". والدولة الجهوية مصطلح جيوبوليتيكي يصف دولة كبيرة تنحصر مصالحها السياسية في مناطق ملاصقة بشكل مباشر لأراضيها أو داخلة ضمن أراضيها، فيكون للدولة الجهوية وزنًا سياسيًا أعظم من الدولة الاعتيادية البسيطة ولكنه وزن أقل من الدولة العظمى أو الإمبراطورية. ورغم أن الدولة الجهوية تتمتع بحد معيّن من الحرية بالنسبة لجيرانها المباشرين، الأضعف، ويمكن أن تضغط عليهم سياسيًا واقتصاديًا، فهذا الضغط لا يتم إلا في حال لم يتعارض مع مصالح الدول العظمى.

"لا ينبغي أن تصدّر روسيا حضارتها إلى الآخرين لأنّها خاصة بالروس، وعلى الجميع في العالم أن يصرّوا على حضارتهم وهويتهم الدينية والثقافية والاجتماعية"

اعتبر دوغين أن قبول روسيا بالدور الذي فرضه الغرب عليها يعدّ انتحارًا للأمة الروسية. فذلك يعتبر إعادة خط التاريخ القومي الروسي عكسيًا إلى الوراء وقطع عملية تحوّل الروس المتواصلة إلى إمبراطورية. ويرى دوغين أن قبول دور الدولة الجهوية يعني تضييعًا للأفق الإمبراطوري وبالتالي إخفاق مشاركة الروس في الحضارة وهزيمة النظام الروحي والثقافي للقيم الروسية، وسقوط التطلعات العالمية والرسالوية، وإهدار قيمة إيديولوجية القومية الروسية وتجريدها من أمجادها التي أحيت أجيالًا كثيرة من الشعب الروسي.

بالإضافة إلى ذلك تحدّث دوغين عن أن السبب الذي دفع الولايات المتحدة للعمل على فرض هذا الدور على روسيا هو رغبة أميركا في أن تخضع روسيا للقوّة العظمى الأكثر قوّة بحيث لا يكون لروسيا تأثير مباشر على السياسة الدولية وعلى العمليات الجيوبوليتيكية العالمية. وبالتالي تتحوّل روسيا إلى قوة إقليمية تملك مساحة محدّدة من الحرية لا تتعارض مع المصالح الأميركية. ولذلك دعا دوغين إلى أن ترفض روسيا هذا الدور وإلى إحياء القومية الروسية كي لا يضيع البُعد الإمبراطوري للأمة الروسية.

هنا لا بد من ذكر أنه بالنسبة لدوغين لا يعني البُعد الإمبراطوري الروسي رغبة روسيا بفرض حضارتها على الآخرين. ويرى أنه "لا ينبغي أن تصدّر روسيا حضارتها إلى الآخرين لأنّها خاصة بالروس، وعلى الجميع في العالم أن يصرّوا على حضارتهم وهويتهم الدينية والثقافية والاجتماعية".

[11] معهد السياسة والمجتمع، "مناقشة ملامح المشروع الأوراسي كما يطرحه ألكسندر دوغين"، 22 كانون الثاني 2022.
https://politicsociety.org/2022/01/22/%D9%85%D9%86%D8%A7%D9%82%D8%B4%D8%A9-%D9%85%D9%84%D8%A7%D9%85%D8%AD-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B4%D8%B1%D9%88%D8%B9-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D9%88%D8%B1%D8%A7%D8%B3%D9%8A-%D9%83%D9%85%D8%A7-%D9%8A%D8%B7%D8%B1/

3.3 ألكسندر دوغين والنظرية السياسية الرابعة

بالنسبة لدوغين، هناك ثلاث نظريات سياسية أثّرت على العالم في الماضي القريب نسبيًا، وهي الليبرالية والشيوعية والفاشية. يعتبر دوغين أن الليبرالية تقترب من طريق مسدود، لأنها تحاول تحرير نفسها من الفكر العقلاني وسيطرة العقل. كما يرى دوغين أن "الليبرالية تصرّ على الحرية والتحرر من أي شكل من أشكال الهوية الجماعية. هذا هو جوهر الليبرالية. لقد حرر الليبراليون الإنسان من الهوية الوطنية والهوية الدينية وما إلى ذلك".

من هنا ظهرت نظرية دوغين الرابعة التي تمثّل في جوهرها اعتراضًا على محاولات تهميش روسيا، ورد فعل نظري حادّ على النيوليبيرالية، أو ما بات يوصف بالليبرالية المتوحّشة، والتي أعلنت انتصارها التام والمطلق، منذ أكثر من عقدين من الزمن.

تقوم نظرية دوغين على مجموعة من المبادئ[12]:

1. الثورة على الاستعمار: يعتبر دوغين أن النظرية الرابعة هي نظرية الثورة ضد الاستعمار بما يتعلق في المجتمع الروسي، أي تخليص المجتمع الروسي من النزعات الغربية المتمثّلة بشكل أساسي بالنظريات الثلاث، الليبرالية والشيوعية والفاشية.
2. معاداة الليبرالية والرأسمالية: يرفض دوغين من خلال نظريته القيم الغربية ويعتبرها أداة تُستخدم من قِبل قوى واحدة لفرض هيمنتها على العالم.
3. القيم الغربية لا تشمل الجميع: ينظر دوغين إلى الإنسان انطلاقًا من وصفٍ جماعي له، فلا يؤيد النظرية الليبرالية حينما تركّز على الفرد نفسه وحقوق الإنسان بمعزل عن محيطه فيقول إنها تقوم على: "تحرير الفردانية من الهوية الجماعية بشتّى أنواعها". وقد أشار إلى أن الليبرالية الجديدة أصبحت تملي على الفرد ماذا يجب أن يكون وماذا يجب أن يفعل، وإن عارضها عندها تعتبره عدوًا للمجتمع المفتوح فيرى أنها تحولت لديكتاتورية. وكذلك يعتبر أنه لا يمكن الدفاع عن الفرد بمعزل عن البيئة الاجتماعية المحيطة به، فيشير إلى أن الغرب لديه قيم مميزة له ولكن لا تشمل الجميع. فهي خاصة بالغرب ويجب ألا تكون إلزامية. فلكل حضارة مفاهيمها الخاصة التي تميزها إذ لديها منطلقات خاصة، فلا يمكن فرض أي قيم غربية لاعتبار أنها شمولية، فهي ليست كذلك.
4. أصالة الحضارة الروسية: يدافع دوغين من خلال نظريته عن أصالة الحضارة الروسية وفي الوقت عينه يعتبرها واحدة من إحدى الحضارات، فيدافع عن الحضارات الأخرى كالإسلامية والصينية، ويرى أن

---

[12] إلهام ناصر، "النظرية السياسية الرابعة"، الموسوعة السياسية، 6 نيسان 2022.

https://political-encyclopedia.org/dictionary/%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%B8%D8%B1%D9%8A%D8%A9%20%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%B3%D9%8A%D8%A9%20%D8%A7%D9%84%D8%B1%D8%A7%D8%A8%D8%B9%D8%A9

لكل حضارة خصوصياتها ويمكن أن تطبّق فيها نظرية سياسية رابعة خاصة بها، فبالنسبة لدوغين لا بدَّ العودة إلى الإرث الحضاري باعتباره بديلًا من النزعة الغربية. على كل حضارة أن تقوم بعملية التحديث والتطوير لقيمها والتحرك وفقًا لها دون فرض النموذج الغربي حيث لا يوجد طريق واحد للتطور.

5. التعدديّة القطبيّة: يرفض دوغين الأُحادية القُطبية ويعتبر أنه لا بدَّ أن يكون هناك العديد من الأقطاب والعديد من المراكز وكذلك العديد من مجموعات القيم. يقول في هذا الصدد: "أعتقد بصدق أن النظرية السياسية الرابعة، البلشفية الوطنية والأوراسية يمكن أن تكون ذات فائدة كبيرة لشعوبنا وبلداننا وحضاراتنا. الكلمة الأساسية هي 'التعددية القُطبية' بكل معانيها - الجيوسياسية، والثقافية، والإكسيولوجية، والاقتصادية، وما إلى ذلك."

3.4 دوغين والأوراسية الجديدة

عندما نتحدّث عن مفهوم الأوراسيا في العقل الروسي يجب التفريق بين الأوراسيا بمفهومها الجغرافي ومفهومها السياسي. فالأوراسيا بمفهومها الجغرافي تعني قارّتي آسيا وأوروبا، من أقصى الغرب على ساحل المحيط الأطلسي إلى أقصى الشرق على المحيط الهادي وما بينهما. أما الأوراسيا السياسية فهي مصطلح روسي بامتياز، ظهر بشكله الأوّلي بين المهاجرين الروس، المناهضين للحكم البلشفي والذين تم نفيهم إلى خارج الاتحاد السوفياتي، في عشرينيات القرن الماضي. اعتبرت الأوراسيا بمفهومها السياسي أن روسيا هي مزيج عِرقي فريد، في المقام الأول من الشعوب السلافية والتركية. يقول بيوتر سافيتسكي، أحد مؤسسي المفهوم السياسي لأوراسيا، إن "روسيا ليست جزءًا من أوروبا وليست امتدادًا لآسيا. إنها عالم مستقل بذاته، واقع جيوبوليتيكي روحي-تاريخي مستقل اسمه أوراسيا[13]".

"روسيا ليست جزءًا من أوروبا وليست امتدادًا لآسيا. إنها عالم مستقل بذاته، واقع جيوبوليتيكي روحي-تاريخي مستقل اسمه أوراسيا"

يقسّم هذا المفهوم منطقة أوراسيا إلى ثلاث مجالات مختلفة؛ الأول: اتحاد تكاملي على غرار الاتحاد الأوروبي، يشمل الاتحاد الروسي، وبلدان آسيا الوسطى، وجنوب القوقاز، وبيلاروسيا، وأوكرانيا والمجال الثاني: حليف ذو علاقات وثيقة مميزة مع هذا الاتحاد الافتراضي، وإن لم يكن عضوًا فيه، على غرار بلدان أوروبا الشرقية الاشتراكية في حلف وارسو، أما المجال الثالث فهو أشبه بحزام أمان، ومساحة مشتركة للتعاون[14].

تشكّل الأوراسيا الجديدة مرتكز نظرية دوغين الرابعة التي تعتبر أن القرن العشرين هو قرن الأيديولوجيات التي فشلت. ويرى دوغين أنه منذ هزيمة الفاشية والشيوعية، تصول الليبرالية وتجول في الساحة دون منازع، بل تتظاهر بأنها ليست أيديولوجية إلى جانب الإيديولوجيات

---

[13] ألكسندر دوغين، "أسس الجيوبولتيكا: مستقبل روسيا الجيوبولتيكي"، 1999.

[14] عمرو عبد الحميد، "المفهوم السياسي لأوراسيا.. وماذا تعني للعالم العربي؟"، مركز الدراسات العربية الأوراسية، 31 تموز 2021.
https://eurasiaar.org/edition/the-political-concept-of-eurasia/

الأخرى، وإنما هي واحدة من مكوّنات الحياة الإنسانية الطبيعية. ويعتبر دوغين أنه يجب محاربة أميركا المسيطرة على النظام العالمي عبر اتحاد شعوب اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية السابق مرة أخرى في إمبراطورية أوراسيا الكبرى مع روسيا راعية لهذه الإمبراطورية الجديدة.

ويقول دوغين في تعريف الأوراسيا بأنها فلسفة سياسية من ثلاثة مستويات خارجية ووسطى وداخلية. فعلى المستوى الخارجي يشتمل هذا المفهوم على عالم متعدد الأقطاب، أي أن هناك أكثر من مركز دولي لصنع القرار، أحدها الأوراسيا التي تضم روسيا ودول الإتحاد السوفياتي السابق. أما على المستوى المتوسط فيقول المفهوم بالتقاء دول الاتحاد السوفياتي، إلى جانب نموذج عابر للحدود. وعلى مستوى السياسة الداخلية، يعني المفهوم تحديد الهيكل السياسي للمجتمع وفقًا للحقوق المدنية، وعلى أساس الاعتماد على أجزاء من نموذج الليبرالية والقومية.

وأخيرًا يمكن القول إن تأييد دوغين وتطويره لمفهوم الأوراسيا يمثّل في جوهره اعتراضًا على محاولات تهميش روسيا، وردّ فعل نظري حادّ على النيوليبيرالية، التي أعلنت انتصارها التام والمطلق منذ أكثر من عقدين من الزمن. بالإضافة إلى ذلك يعتبر دوغين أن إدراج بوتين لمفهوم العالم متعدد الأقطاب في مفهوم الأمن القومي للاتحاد الروسي[15] يعني عمليًا أن الأوراسيّة قد تم الاعتراف بها بشكل قانوني باعتبارها الاستراتيجية الدولية الأساسية لروسيا. ويرى دوغين أن سياسات بوتين منذ استلامه الحكم في روسيا تناسبت مع مفهوم الأوراسيا. فقد عارض بوتين بشدّة تفكّك روسيا في داغستان والشيشان، وأنشأ الجماعة الاقتصادية الأوراسية[16]، ووقّع اتفاقية الأمن الجماعي مع دول رابطة الدول المستقلة.

3.5 دوغين وبوتين

في العام 2001 قال دوغين في لقاء صحفي إن: "بوتين هو الحاكم المثالي للفترة الحالية. إنه شخصية مأساوية. لديه حاشية فظيعة، مكوّنة من أناس مرهقين، يشكّلون بحرًا من الديدان الحقيرة التي تلوّث مجال حركته بالكامل. وهو يقوم بشكل منهجي وثابت، شيئًا فشيئًا، بإزالة كل هذا الإرث الكئيب. إنه مثل عالم كيميائي يقوم بتحويل الأسود إلى الأبيض. الأمور بدأت تتحوّل إلى اللون الرمادي ولكن هذه مجرّد بداية. الفجر بدأ يطلع. أنا أؤمن ببوتين وأنا أؤيده تمامًا"[17].

وفي العام 2012 نشر ألكسندر دوغين كتابًا بعنوان "بوتين مقابل بوتين: رؤية اليمين لبوتين". في هذا الكتاب يتحدّث دوغين عن التغيّر في سياسات بوتين منذ وصوله إلى الحكم وحتى تاريخ نشر الكتاب. ويرى أن صيغة

---

[15] ذكر مفهوم الأمن القومي الروسي الذي نشره الكرملين في العام 2000 أن "روسيا تتفهّم تطوّر عالم متعدد الأقطاب وترغب بشدة في تسهيل هذا التطور".

[16] كانت منظمة إقليمية بين عامي 2000 و2014 تهدف إلى التكامل الاقتصادي للدول الأعضاء فيها: بيلاروسيا، كازاخستان، قيرغيزستان، روسيا، طاجيكستان.

[17] Alexander Dugin, "Putin vs Putin: Vladimir Putin Viewed from the Right", 2014.

الحكم التي تبنّاها بوتين كانت مزيجًا من الأوراسية والقومية والليبرالية. وكان موقف دوغين من بوتين يتغيّر مع كل ترجيح لواحدة من هذه التوجهات الثلاثة.

ويقول دوغين في هذا الكتاب: "يقف فلاديمير بوتين عند مفترق طرق. طوال حياته المهنية كرئيس لروسيا، حاول بوتين تحقيق التوازن بين توجهين متعارضين في السياسية: الأول هو ديمقراطي ليبرالي يسعى إلى تبنّي إصلاحات على النمط الغربي في روسيا والحفاظ على علاقات جيدة مع الولايات المتحدة وأوروبا، والثاني هو توجّه وطني روسي يسعى إلى الحفاظ على تقاليد روسيا وإعادة تأكيد دورها كإحدى القوى العظمى في العالم. لا يمكن أن يستمر هذا التوازن إذا رغب بوتين في الحفاظ على الدعم الشعبي الكبير في روسيا. يجب أن يعمل بوتين على الحفاظ على هوية روسيا الفريدة وسيادتها في مواجهة التحديات المتزايدة، سواء من الليبراليين الروس في الداخل أو من القوى الأجنبية"[18].

ويدعو دوغين في كتابه بوتين إلى التعاون مع الدول الأخرى التي تعارض النظام الليبرالي العالمي من أجل إيجاد عالم متعدد الأقطاب. فبالنسبة لدوغين، بقاء روسيا كحضارة فريدة ومستقلة يعتمد على تحوّل جيوسياسي بعيدًا عن العالم أُحادي القطب الذي يمثله تفوّق أميركا بلا رادع. وإذا نظرنا إلى خطابات الرئيس الروسي في الفترة الأخيرة، أي منذ بداية الصراع في أوكرانيا، نجد أنها تعكس العديد من أفكار دوغين التي تتعلّق بالعالم الروسي والحضارة الروسية ومحاربة الأحادية القطبية.

4. نيكولاي ميخائيلوفيتش كرامزين (1765- 1826)

"كرامزين اكتشف روسيا القديمة تمامًا كما اكتشف كولومبوس أميركا"

يُعرف نيكولاي كرامزين في روسيا بالصحفي والمؤرخ والمؤلف الوطني الروسي الذي أسّس الفكر المحافظ للإمبراطورية الروسية في القرن التاسع عشر. ولد كرامزين في قرية ميخائيلوفكا بمنطقة أورينبورغ في روسيا في الأول من كانون الأول 1765. تلقّى تعليمه في المنزل وفي الرابعة عشرة من عمره انتقل لإكمال دراسته في موسكو حيث التحق بجامعتها. وأثناء دراسته ترجم كرامزين مقالات من اللغة الأجنبية إلى اللغة الروسية ونشرها في مجلات روسية.

في عام 1781 التحق كرامزين بالخدمة العسكرية بعد إصرار من والده الذي كان ضابطًا في الجيش الروسي. لم تستمر خدمته العسكرية لفترة طويلة فتقاعد برتبة ملازم في عام 1784. عام 1784 استقر كرامزين في موسكو حيث وجد طريقه إلى الحياة الفكرية للمدينة. لعب كرامزين دورًا مهمًا في إنشاء اتجاهات جديدة في

[18] Alexander Dugin, "Putin vs Putin: Vladimir Putin Viewed from the Right", 2014.

الأدب الروسي وكان أوّل كاتب رئيسي للقصص القصيرة في روسيا، ونشر أكثر من اثنتي عشرة قصة ألهمت عددًا كبيرًا من الكتاب ووفّرت الأساس للكتابة الأدبية العاطفية في روسيا.

بدأ كرامزين مسيرته الأدبية في منتصف ثمانينيات القرن الثامن عشر. وكانت جهوده الأولى في ميدان الصحافة والترجمة. تأثّر في بداية مسيرته بالكتاب الأوروبيين مثل الفرنسي جان جاك روسو، والبريطاني صمويل ريتشاردسون، والإيرلندي لورنس ستيرن، والكندي باول تومسون.

في عام 1789 قرّر كرامزين السفر وزيارة ألمانيا وفرنسا وسويسرا وإنجلترا. ولدى عودته نشر أول عمل أصلي له في ست مجلّدات تحت عنوان "رسائل مسافر روسي". للمرة الأولى تقريبًا، لم يكن مسافرًا غربيًا يزور روسيا، بل كان روسيًا متعلمًا يزور أوروبا، ليس للدراسة هناك، كما فعل الآخرون في عهد بيتر أو كاثرين، ولكن للمشاهدة والمراقبة واستخلاص النتائج. أي أنه سافر ليرى كل شيء بنفسه بدلًا من الاعتماد على الشائعات والأساطير التي كانت تصله. وضع كرامزين نفسه مكان المسافرين الأوروبيين الذين يزورون روسيا وقرأ بنفسه النصوص الأوروبية، وفهمها، وترجم بعضها إلى اللغة الروسية. قبل سفره، كان كرامزين "غربيًا"، أي واحدًا من هؤلاء الروس الذين اعتقدوا أن مستقبل روسيا يكمن في تبنّي المؤسسات السياسية الغربية ودمج الثقافة الروسية في الثقافة الغربية. وبعد عودته من السفر بدأت قناعاته تتغيّر وبات مقتنعًا بأن الأوروبيون لا يرون إلا أنفسهم.

يقول الكاتب الروسي فلاديمير كانتور: قبل بطرس الأكبر، اعتبر الرحّالة الغربيون أن الروس متوحّشون مثل الأفارقة، فكان المسافرون الأوروبيون يزورون روسيا "الإفريقية" للتعرّف أكثر على فئة من الناس لا تشبههم. ويرى كانتور أن أهمية كرامزين تكمن في أنه كان من أوائل المفكّرين الذين سافروا من روسيا "الإفريقية" إلى أوروبا[19]. لهذا تميّزت كتاباته بأنها كانت تخبر القارئ منذ البداية أن المؤلف يعرف عن الأوروبيين أكثر مما يعرفه الأوروبيون عن روسيا. ويتحدّث كرامزين في إحدى كتبه عن تجربة مرّ فيها حيث التقى شخصين في ألمانيا كانا يتحدّثان بقسوة عن روسيا فقاطعهما باللغة الألمانية وناقشهما ولكنهما لم يقتنعا أنه روسي فبالنسبة لهم "من المستحيل أن يتحدّث الروس لغة أجنبية"[20].

في عام 1802 أسّس كرامزين المجلة الشهرية "European Messenger"، وكانت واحدة من أهم المجلات في القرن التاسع عشر. وفي عام 1804 ترك كرامزين المجلّة وتفرّغ للبحث في تاريخ الدولة الروسية، وأُعطيَ لقب مؤرّخ بلاط القيصر ألكسندر الأول. وفي عام 1811 قدّم إلى الإسكندر الأول "مذكراته عن روسيا القديمة

---

[19] VLADIMIR K. KANTOR, "Karamzin, or Russia's European Path", Russian Studies in Philosophy, 2017.

[20] VLADIMIR K. KANTOR, "Karamzin, or Russia's European Path", Russian Studies in Philosophy, 2017.

والحديثة"، وهي دفاع تاريخي ثابت عن الفضائل العريقة للحكم المطلق الروسي. وكان دافع كرامزين للغوص في تاريخ روسيا هو أسفه على أن أفضل كتاب تاريخ متاح عن روسيا كان للفرنسي ليفيسك[21].

انتقل كرامزين إلى سان بطرسبرغ عام 1816، حيث أقام علاقة وثيقة مع الإمبراطور. أعطى كرامزين الإمبراطور بعض كتاباته عن التاريخ ليقرأها وأشركه في العديد من المناقشات حول القضايا التاريخية والسياسية المذكورة في كتاباته. ورغم تأثّر كرامزين بدايةً بالأفكار الغربية، فإن تعمّقه بالتاريخ الروسي جعله أكثر ميلًا للمحافظين الروس. وحثّ في كتاباته على عدم التّخلي عن ثقافة الدولة الروسية الفريدة. وقد وجد كرامزين نفسه في موقع غير واضح يتمثّل في سعيه لاكتشاف والحفاظ على أفضل ما في الشخصية التاريخية لأمّته دون إنكار قيمة بعض سِمات التقاليد الغربية تمامًا.

" تاريخ الشعب ملك للقيصر "

في الفترة من 1819 إلى 1826 عمل كرامزين على أشهر مؤلّفاته "تاريخ الدولة الإمبراطورية الروسية"، ونشر 11 مجلّدا منها قبل وفاته. توفّي كرامزين بتاريخ 22 أيار 1826 في سان بطرسبرج وتم نشر المجلّد الأخير بعد وفاته.

قال الكاتب الروسي الشهير ألكسندر بوشكين في حديثه عن كتاب كرامزين إنه "اكتشف روسيا القديمة تمامًا كما اكتشف كولومبوس أميركا"[22]. من خلال هذا الكتاب ساهم كرامزين بشكل كبير في تعزيز الوعي القومي الروسي. حيث أشاد بالطابع الخاص للمجتمع الروسي ورأى أن إصلاحات بطرس الأكبر هي في الواقع فرض الأفكار الغربية على الثقافة الروسية. لذلك كان كتابه يعطي القيصر الحق في اتخاذ أي إجراءات ما دامت تخدم الأمة الروسية.

كتب كرامزين في مسودة مقدمته أن "التاريخ بالنسبة للروس هو مثل الإنجيل بالنسبة للمسيحيين"، ولذلك يعتبر كثيرون أن كرامزين قدّم للروس "كتابًا مقدسًا" عن ماضيهم. كتابًا يحاكي التاريخ الروسي من منظار محافظ. ويختم كرامزين كتابه بتوجيه كلمة ختامية لألكسندر الأول: "إن تاريخ الشعب ملك للقيصر".

---

[21] David B. Saunders, "Historians and Concepts of Nationality in Early Nineteenth-Century Russia", The Slavonic and East European Review, January 1982.
https://www-jstor-org.neptune.ndu.edu.lb:9443/stable/pdf/4208432.pdf?refreqid=excelsior%3A860c8d484690a454d6190bda7802cc2e&ab_segments=&origin=&acceptTC=1

[22] David B. Saunders, "Historians and Concepts of Nationality in Early Nineteenth-Century Russia", The Slavonic and East European Review, January 1982.
https://www-jstor-org.neptune.ndu.edu.lb:9443/stable/pdf/4208432.pdf?refreqid=excelsior%3A860c8d484690a454d6190bda7802cc2e&ab_segments=&origin=&acceptTC=1

في العام 2016 أحيا المصرف المركزي الروسي ذكرى هذا المؤرّخ الروسي عبر طباعة صورته على عملات معدنية. ويرى كثيرون أن رؤية الرئيس الروسي فلاديمير بوتين للتاريخ الروسي متأثّرة بشكل كبير بكرامزين. حتى أن البعض يجادل في أن بوتين يلجأ إلى أفكار كرامزين التاريخية لشرح قراراته في السياسة الخارجية، ويستخدم في خطاباته ولقاءاته بعض الاستعارات من كتابات كرامزين التي تقدم أدلّة تاريخية حول كيفية فهمه لروسيا. هذه الاستعارات والشعارات تساعده على تعزيز الشعور القومي للمجتمع الروسي وتحشيد هذا المجتمع خلف أي قرار يتّخذه الرئيس الروسي. ففي النهاية "تاريخ الشعب ملك للقيصر".

أظهرت الحرب في أوكرانيا، التي اندلعت في 24 شباط 2022، أن بوتين يؤمن بأن أوكرانيا جزء من روسيا. هذه الفكرة موجودة بصورة واضحة في عدّة كتب عن تاريخ روسيا ولكن كتاب كرامزين "تاريخ الدولة الروسية" يركّز على أن روسيا كانت قوية عندما كان شعبها متحدًا وراء دولة قوية، وأصبحت ضعيفة وعُرضة للغزو الأجنبي عندما انقسم الشعب. وهذا يفسّر حرص بوتين على خطاب الوحدة بين الشعبين الروسي والأوكراني.

كثيرًا ما يقتبس بوتين من كلمات كرامزين خاصة عندما يربط أحداث اليوم بالتاريخ الروسي. فأثناء لقائه مؤرّخين وممثّلين عن الأديان الروسية بتاريخ 4 تشرين الثاني 2022 قال بوتين إن "استنتاج نيكولاي كرامزين بأن الحاضر هو نتيجة الماضي هو استنتاج دقيق ومهم"[23]. يقول بوتين في كلمة له عام 2015 "أودّ أن أذكّر قادة الأحزاب، وجميع المشاركين في الحملة الانتخابية المقبلة وجميع القوى الاجتماعية والسياسية بالكلمات التالية لمؤرخنا الشهير نيكولاي كرامزين: "أولئك الذين لا يحترمون أنفسهم لا يمكنهم أن يأملوا في أن يحترمهم الآخرون. هذا لا يعني أن حب وطننا يجب أن يعمينا حتى نقول إننا أفضل من كل الآخرين في كل ما نقوم به. لكن يجب أن يعرف الروس قيمتهم"[24].

[23] Kremlin, "Meeting with historians and representatives of Russia's traditional religions", November 4, 2022. http://en.kremlin.ru/events/president/news/69781

[24] Kremlin, "Address at Knowledge Day celebrations with teachers and students of Sirius educational centre", September 1, 2015. http://en.kremlin.ru/events/president/transcripts/50216

5. ألكسندر إيزاكي سولجينتسين (1918-2008)

" يعتقد الغرب بأن جميع المناطق الشاسعة من كوكبنا يجب أن تتطور وتنضج إلى مستوى الأنظمة الغربية المعاصرة. ويتم الحكم على الدول بناءً على مزايا تقدّمها في هذا الاتجاه. لكنّ مثل هذا المفهوم هو في الحقيقة ثمرة عدم فهم الغرب لجوهر العوالم الأخرى، نتيجة القياس الخاطئ لهم جميعًا بمعيار غربي "

يعدّ ألكسندر إيزاكي سولجينتسين واحد من الكتّاب والمؤرّخين المهمّين في روسيا. ولد ألكسندر سولجينتسين في مدينة كيسلوفودسك الروسية في 11 كانون الأول 1918. درس والده المواد اللغوية في جامعة موسكو، لكنّه لم يكمل دراسته بسبب التحاقه كمتطوّع في الجيش الروسي عندما اندلعت الحرب العالمية الأولى في عام 1914، وأصبح ضابط مدفعية في الجبهة الألمانية. توفّي والده في صيف عام 1918، قبل ستة أشهر من ولادة ألكسندر. وفي عام 1924، أي بعد عدة سنوات من الخطوات البلشفية العدائية المتزايدة في مدينة كيسلوفودسك، انتقل سولجينتسين ووالدته إلى مدينة روستوف الروسية حيث قضى طفولته وشبابه.

بعد تخرّجه من المدرسة الثانوية في عام 1936 حاز سولجينتسين على منحة ستالين والتحق بجامعة روستوف حيث درس الرياضيات والفيزياء، إلا أن الكتابة استغرقت معظم وقته. وعلى الرغم من تقدّمه بالعديد من الطلبات للنّاشرين لم يتم نشر أي من أعماله المبكّرة.

تزوّج سولجينتسين من ناتاليا ريشيتوفسكايا، وهي طالبة الكيمياء في جامعة روستوف، عام 1940، وعملا لاحقًا مدرّسين في قرية موروزوفسك الروسية. وبعد أقل من عام تم استدعاؤه للمشاركة في الحرب العالمية الثانية. كانت مهمته العسكرية الأولى كسائق حصان وعربة، وهي تجربة اعتبرها مذلّة وكتب عنها لاحقًا في كتابه "The First Circle". ولكن خلفيّة سولجينتسين العلميّة لعبت دورًا في تشكيل مستقبله في الحرب. فبسبب دراسته للرياضيات تم نقله إلى كليّة المدفعية حيث خضع لبرنامج تدريب مختصر في تشرين الثاني 1942. بعد ذلك خدم لمدة أسبوعين في منطقة غوركي قبل أن يصبح قائدًا "لبطارية مدفعية" في منطقة لينينغراد الأماميّة. استمر سولجينتسين حتى نهاية الحرب عام 1945 في الخطوط الأمامية حيث شارك في عدّة معارك منها معركة كورسك الشهيرة[25]. رُقّيَ أثناء الحرب إلى رتبة نقيب ومُنح وسام الحرب الوطنية من الدرجة الثانية ووسام النجمة الحمراء.

---

[25] تعتبر معركة كورسك من المعارك التي حدّدت مسار الحرب العالمية الثانية ونتائجها. جرت عام 1943 بين القوات الألمانية والسوفياتية قرب مدينة كورسك، على بُعد 450 كلم جنوب غرب موسكو، وشهدت أكبر معركة دبابات في التاريخ وهي معركة بروخوروفكا.

خلال الحرب، بين عامي 1944 و1945 بالتحديد، راسل سولجينتسين أحد أصدقائه من أيام المدرسة بعدّة رسائل انتقد فيها زعيم الاتحاد السوفياتي حينها جوزيف ستالين وأهانه. وعلى الرغم من أن الرسائل لم تتناول اسم الرئيس السوفياتي بل كانت ترمز إليه باسم مستعار، ألقى القبض على سولجينتسين وتعرّض للاستجواب في سجن لوبيانكا في موسكو، وحُكم عليه بثماني سنوات من الأشغال الشاقة في 7 تموز 1945 وجُرّدَ من رتبته وأوسمته. قضى سولجينتسين الأشهر الخمسة التالية في معسكرات إصلاحية بالقرب من موسكو حيث عمل في مشاريع بناء المدينة. وفي عام 1946، وبسبب خبرته في الرياضيات، أُرسل إلى معهد البحث العلمي في موسكو حيث أمضى أربع سنوات. وفي عام 1950، أُرسل إلى "المعسكرات الخاصة" التي كانت قد أُنشئت حديثًا في مدينة إيكيباستوز في كازاخستان، والتي كانت معسكرات للسجناء السياسيين فقط، حيث قضى السنوات الثلاث المتبقية من عقوبته. يروي سولجينتسين في كتابه "أرخبيل الغولاغ" تفاصيل اعتقاله ويتحدّث عن معاناته وتعرّضه للضرب والاستجواب لعدة أشهر قبل أن يحاكم.

قبل وقت قصير من موعد إطلاق سراحه المحدّد، أصيب بالسرطان وتبيّن وجود ورم في أسفل بطنه فخضع لعملية جراحية لكنه لم يشف بل استمر الورم بالنمو. وبعد شهر واحد من قضائه كامل مدة عقوبته البالغة ثماني سنوات صدر قرار إداري بنفيه مدى الحياة إلى كوك تيريك، جنوب كازاخستان. لم يكن هذا الإجراء موجهًا ضده بشكل خاص، ولكنه كان إجراءً معتادًا جدًا في ذلك الوقت. عاش سولجينتسين في المنفى من آذار عام 1953 حتى تموز عام 1956.

أثناء وجوده في المنفى تطوّر مرض السرطان بسرعة، وفي نهاية عام 1953 كان على وشك الموت. ورغم وضعه الصحّي الصعب جدًا ذهب إلى طشقند، في أوزبكستان، حيث خضع لعلاج وتم شفاؤه خلال عام 1954. طوال سنوات المنفى، عمل سولجينتسين مدرّسًا الرياضيات والفيزياء في مدرسة ابتدائية وكتب نصوصًا نثريّة في السرّ.

عاد سولجينتسين إلى روسيا عام 1956، واستقر في منطقة فلاديمير قبل أن ينتقل إلى منطقة ريازان، وهي بلدة تبعد 160 كيلومترًا جنوب شرق موسكو. حينها عمل مدرّسًا للرياضيات، واستمر بالكتابة سرًا. وكان أثناء وجوده في السجن قد طلّق زوجته لحمايتها من الاضطهاد بسبب ارتباطها به. لكن وعلى الرغم من أنها تزوّجت من رجل آخر وأنجبت منه طفلين عادت إلى سولجينتسين عند إطلاق سراحه.

نُشرت رواية سولجينتسين الأولى "يوم واحد في حياة إيفان دينيسوفيتش"[26] في عام 1962 في مجلة نوفي مير الروسية. وعلى الرغم من أنه أنهى كتابة روايته في عام 1958 فقد تأخّر نشرها بسبب انتظار موافقة

[26] تحدّث سولجينتسين في هذه الرواية عن أحداث واجهها أحد السجناء، إيفان دينيسوفيتش شوخوف، في معسكر العمل السوفياتي في أوائل الخمسينيات من القرن الماضي. كان نشر هذه الرواية حدثًا غير عادي في تاريخ الأدب السوفياتي حيث لم يسبق أن تم نشر أي سرد للقمع الستاليني علنًا من قبل.

الرئيس السوفياتي نيكيتا خروتشيف على النشر. هذه الرواية جعلت من سولجينتسين كاتبًا مشهورًا في الاتحاد السوفياتي، وهو ما شجّعه على التوقف عن التدريس والاستمرار في الكتابة، ونشر العديد من القصص القصيرة في عام 1963 مستفيدًا من موافقة خروتشيف على كتاباته.

بعد عزل خروتشيف عن الحكم في عام 1964، بدأ سولجينتسين في مواجهة رد فعل عنيف من السلطة السوفياتية الجديدة. فتم تأخير ومن ثم إلغاء نشر رواياته الجديدة، وفي عام 1965 صادرت المخابرات السوفياتية (KGB) رواياته وأرشيفه الخاص. لذلك قام سولجينتسين بنشر بعض رواياته المترجمة للإنكليزية في أميركا وبريطانيا وأوروبا الغربية في عامي 1968 و1969، وهو ما تسبّب بمزيد من الأضرار لسمعته. كما تم طرده من اتحاد الكتاب في الاتحاد السوفياتي وجُرّد من مكانته كمؤلّف سوفيتي. في إحدى رواياته، كتب سولجينتسين "الكاتب العظيم هو حكومة ثانية في بلاده. ولهذا السبب لم يحب أي نظام الكتاب العظام، فقط الصغار منهم"[27].

في الوقت نفسه، كانت شهرته في الغرب آخذة في الازدياد، فهو كان الكاتب الروسي المثقّف المنتقد بشدّة للشيوعية. وفي عام 1970 أُعلن عنه الفائز بجائزة نوبل للآداب. ندّدت الحكومة السوفياتية بقرار منحه الجائزة ووصفته بأنه عمل عدائي سياسيًا. وكتب يوري أندروبوف، رئيس الكي جي بي آنذاك، في مذكرة سريّة: "إذا استمر سولجينتسين في الإقامة في البلاد بعد حصوله على جائزة نوبل، فإن ذلك سيعزّز موقفه، ويسمح له بنشر آرائه بشكل أكثر فاعلية"[28]. وبعد ضغط من المسؤولين السوفياتيين أُجبر سولجينتسين على رفض قبول الجائزة شخصيًا، بسبب خوفه من عدم السماح له بالعودة إلى روسيا، فقام بقبولها غيابيًا.

في هذه الأثناء، كانت حياة سولجينتسين الشخصية فوضوية بنفس القدر. انفصل عن زوجته ريشوتوفسكايا وفي عام 1973 تزوّج من مدرّسة رياضيات تدعى ناتاليا سفيتلوفا، التي أنجبت لاحقا ثلاث أولاد هم يرمولاي وستيبان وإيجنات.

كتب سولجينتسين روايته "The Gulag Archipelago[29]"، وهي محاولة "إنشاء سجل أدبي وتاريخي للنظام الوحشي للسجن والعمل داخل مخيمات الاتحاد السوفياتي" عبر ثلاث مجلّدات مؤلّفة من حوالي 1800 صفحة تتحدّث عن الانتهاكات السوفياتية منذ عام 1918 فصاعدًا، لكنه أخفاها عن السلطات. ولكن مساعدته السابقة، إليزافيتا فورونيانسكايا، بعدما استجوبها الكي جي بي، كشفت عن مكان نسخة من هذه الرواية وقامت بشنق نفسها بعدها. حينها قرّر سولجينتسين نشر روايته، فنُشر المجلّد الأول منه باللغة الروسية في

---

[27] Russiapedia, "Prominent Russians: Aleksandr Solzhenitsyn". https://russiapedia.rt.com/prominent-russians/literature/aleksandr-solzhenitsyn/

[28] المرجع ذاته.

[29] Gulag هو نظام لمعسكرات العمل القسري. تم إنشاؤه في عهد جوزيف ستالين في عشرينيات القرن الماضي واستمر إلى ما بعد وفاة ستالين في عام 1953 بوقت قصير. وسُجن فيه حوالي 18 مليون شخص.

باريس في كانون الأول عام 1973. وعندما نُشرت الرواية بدأت المحطات الإذاعية الأجنبية بعرض النص على الفور.

في شباط 1974 ألقى ضباط المخابرات السوفياتية القبض على سولجينتسين ونقلوه إلى سجن ليفورتوفو، حيث تم استجوابه واتهامه بالخيانة. وفي اليوم التالي، جُرّد من جنسيّته ورُحّل على الفور من روسيا إلى الغرب، حيث عاش أولًا في سويسرا ثم انتقل إلى الولايات المتحدة في عام 1976. وهناك رأى أن مهمته الأساسية كانت إعادة كتابة الأحداث التي أدّت إلى انهيار الإمبراطورية الروسية وولادة الاتحاد السوفياتي فقام بكتابتها ونشرها في كتاب بعنوان "العجلة الحمراء".

في عام 1990 عرض الرئيس السوفياتي الأخير ميخائيل غورباتشوف على سولجينتسين استعادة جنسيته وإسقاط تهم الخيانة عنه رسميًا لكنه لم يعد إلى روسيا إلا بعد انهيار الاتحاد السوفياتي، فكانت عودته عام 1994. لاقت عودته إلى بلاده ترحيب الكثيرين، والتقى الرئيس الروسي حينها بوريس يلتسين بعد عودته بفترة قصيرة. كما ألقى خطابًا أمام مجلس الدوما الروسي عام 1994 انتقد فيه الشيوعيين بقوّة وقال إن الديمقراطية في روسيا تبقى حلمًا "يجب الاعتراف بصدق أن هذه ليست ديمقراطية. الآن يحكم الأوليغارشية، فالسلطة ملك لعدد محدود من الناس"[30].

في عام 1997 أنشأ سولجينتسين "جائزة سولجينتسين للكتابة الروسية"، وهي جائزة سنوية تُمنح للمؤلّفين الذين يعيشون في روسيا ويكتبون باللغة الروسية. وفي السنوات الأخيرة من حياته وجد ألكسندر سولجينتسين نظامًا سياسيًا يمكنه احتضانه: روسيا فلاديمير بوتين. وفي مقابلة له مع مجلة دير شبيجل الألمانية عام 2007 قال سولجينتسين: "لقد ورث بوتين دولة تعرّضت للنهب فيها شعب فقير ومحبط. بدأ بوتين يفعل ما كان ممكنًا، إحياء بطيء وتدريجي للبلاد. لم تتم ملاحظة هذه الجهود، ولم يتم تقديرها، على الفور. على أي حال، من الصعب العثور على أمثلة في التاريخ تتحدّث عن تقدير الحكومات لخطوات دولة تعمل لاستعادة قوتها"[31].

أشار سولجينتسين في كتاباته وخطاباته الأخيرة إلى أن روسيا التي كان يحلم بها ليست استنساخًا للديمقراطية على النمط الغربي. بدلًا من ذلك، كان يراها مكانًا بعيدًا عن الغرب ومشكّكًا فيه، ومدركًا تمامًا لمصيره كقوّة عظمى وثقافة فريدة متأصّلة في قيم الكنيسة الأرثوذكسية الروسية والقومية السلافية. كما

[30] Los Angeles Times, "Solzhenitsyn Rips Almost Everyone in Parliament Speech", October 29, 1994. https://www.latimes.com/archives/la-xpm-1994-10-29-mn-56123-story.html

[31] Russiapedia, "Prominent Russians: Aleksandr Solzhenitsyn"

أنه كان مقتنعًا بأن الغرب كان "غريبًا عليه"، وأن "الإيديولوجية الليبرالية الغربية مناقضة لروسيا. كما أنه لم يخفِ أبدًا ازدراءه لنمط الحياة الغربي القائم على الاستهلاك"[32].

بالإضافة إلى ذلك، يجادل سولجينتسين أنه عندما يحاول الغربيون لعب دور نشط في المجال الدولي في دول العالم الثالث فإنهم يفشلون في الاعتراف بالشرعية الثقافية والتاريخية والسياسية لكل بلد على حدة. فبالنسبة له، يميل المجتمع الغربي إلى تقييم أي دولة من خلال تقييم مدى قربها من السياسات الثقافية والسياسية والاقتصادية للغرب. كما أنه كان مقتنعًا بأن المبادرات السياسية الغربية في العالم النامي ليست إلا جهدًا لنقل الغرب إلى الشرق بدلًا من السعي لفهم ثقافات هذه الدول وتاريخها.

ويقول سولجينتسين: "يعتقد الغرب بأن جميع المناطق الشاسعة من كوكبنا يجب أن تتطور وتنضج إلى مستوى الأنظمة الغربية المعاصرة. ويتم الحكم على الدول بناءً على مزايا تقدّمها في هذا الاتجاه. لكنّ مثل هذا المفهوم هو في الحقيقة ثمرة عدم فهم الغرب لجوهر العوالم الأخرى، نتيجة القياس الخاطئ لهم جميعًا بمعيار غربي"[33].

توفّي سولجينتسين بسبب أزمة قلبية بالقرب من موسكو في 3 آب 2008، عن عمر يناهز 89 عامًا.

5.1 سولجينتسين وأوكرانيا

في عام 1968 كتب سولجينتسين عن مخاوفه من الصراع المستقبلي بين روسيا وأوكرانيا: " يؤلمني أن أكتب هذا لأن أوكرانيا وروسيا في دمي وفي قلبي وفي أفكاري. لكن الخبرة الواسعة في الاتصالات الوديّة مع الأوكرانيين في المعسكرات أظهرت لي مقدار الضغينة المؤلمة التي يحملونها. لن يفلت جيلنا من دفع ثمن أخطاء آبائنا "[34]. ومنذ ذلك الوقت توقّع سولجينتسين صعود القومية في أوكرانيا ومطالبتها بالاستقلالية، وأعرب عن أسفه على استخدام منطق القوة لتأكيد تبعيّة أوكرانيا لروسيا بدل من السعي للمصالحة والتعايش.

---

[32] Viktor Yerofeyev, "The Successful Tragedy of Aleksandr Solzhenitsyn", Radio Free Europe, December 11, 2008.
https://www.rferl.org/a/The_Successful_Tragedy_Of_Aleksandr_Solzhenitsyn/1358601.html#:~:text=He%20believed%20in%20justice.&text=He%20thought%20that%20human%20beings,religion%20as%20a%20common%20denominator.

[33] Isaiah L. Parnell, "Political and moral themes in the works of Alexander Solzhenitsyn", College of William & Mary - Arts & Sciences, 1980.
https://scholarworks.wm.edu/cgi/viewcontent.cgi?article=4159&context=etd

[34] Joseph Pearce, "The Voice of a Prophet: Solzhenitsyn on the Ukraine Crisis", The Imaginative Conservative, February 23, 2022.
https://theimaginativeconservative.org/2022/02/voice-prophet-solzhenitsyn-ukraine-crisis-joseph-pearce.html

ومن خلال فهمه للتاريخ أعرب سولجينتسين عن أسفه لأنه ثبت على مر القرون أنه من المستحيل حل الخلافات بين الشعبين الروسي والأوكراني، مما يجعل من الضروري للروس تسليم القرار للأوكرانيين لتحديد موقعهم. واعتبر أن الصعوبة الأكبر تكمن في وجود خليط عِرقي في أوكرانيا نفسها، حيث يوجد في مناطق مختلفة من البلاد نِسب مختلفة ممن يعتبرون أنفسهم أوكرانيين، وأولئك الذين يعتبرون أنفسهم روسًا وأولئك الذين لا يعتبرون أنفسهم روسًا أو أوكرانيين. وفي إحدى كتاباته في ستينيات القرن الماضي يذكر سولجينتسين "ربما سيكون من الضروري إجراء استفتاء في كل منطقة ثم ضمان معاملة تفضيلية ودقيقة لأولئك الذين يرغبون في المغادرة. ولكي يحدث هذا ستحتاج أوكرانيا إلى إظهار نفس القدر من ضبط النفس والحس السليم تجاه المناطق التي يهيمن فيها الروس كما كانت روسيا بحاجة إلى إظهارها لأوكرانيا ككل".

كما أنه يعتبر أن أوكرانيا "ليست بأكملها في حدودها السوفياتية الرسمية الحالية هي في الواقع أوكرانيا. بعض المناطق من الواضح أنها تميل أكثر نحو روسيا. أما بالنسبة لشبه جزيرة القرم فإن قرار خروتشيف تسليمها لأوكرانيا كان تعسفيًا تمامًا".

بعد عدة سنوات، في نيسان 1981، كتب سولجينتسين رسالة إلى مؤتمر تورنتو حول العلاقات الروسية الأوكرانية كتب فيها أن "المشكلة الروسية الأوكرانية هي إحدى القضايا الرئيسية الحالية، وهي بالتأكيد ذات أهمية حاسمة لشعوبنا. لقد ذكرت مرارًا وتكرارًا أنه لا يمكن الاحتفاظ بأي شخص بالقوة، ولا أحد يجب أن يلجأ إلى الإكراه تجاه الطرف الآخر". وأصر سولجينتسين على حقوق المواطنين في تقرير مصيرهم، بعيدًا عن القوة القسرية للحكومة المركزية، سواء كانت تلك الحكومة في موسكو أو كييف. كما اعتبر أن "التعصّب الشرس الذي يحرّك المتطرّفين على جانبي الانقسام العِرقي سيكون قاتلًا لكلتا الدولتين ولن يفيد إلا أعداءهما".

" فصل أوكرانيا اليوم يعني قطع الطريق بين ملايين العائلات والناس بسبب العلاقات التاريخية والعائلية بين مواطني أوكرانيا على اختلاف أعراقهم "

وفي عام 1990، تحدّث سولجينتسين في كتابه "إعادة بناء روسيا" عن الخطر الكامن في التكوين العِرقي لأوكرانيا. وقال إن "فصل أوكرانيا اليوم يعني قطع الطريق بين ملايين العائلات والناس بسبب العلاقات التاريخية والعائلية بين مواطني أوكرانيا على اختلاف أعراقهم". وعلى الرغم من أن سولجينتسين كان يخشى عواقب استقلال أوكرانيا، فقد أيّد أن يحدّد المواطنون في أوكرانيا مصيرهم دون تدخّل خارجية من أي طرف. لذلك كان يتحدّث مرارًا عن فكرة تقسيم أوكرانيا وإعطاء كل منطقة الحق في تقرير مصيرها.

بعد ما يسمّى "ثورة ميدان" في الغرب أو "انقلاب ميدان" في روسيا، الذي حصل في شباط العام 2014 في أوكرانيا وأدّى لإطاحة الرئيس الأوكراني الموالي لروسيا فيكتور يانكوفيتش وانتخاب الرئيس الأوكراني

الموالي للغرب بترو بوروشنكو مكانه، ظهرت كتابات وأفكار سولجينتسين بقوة في روسيا من أجل فهم أعمق لخلفية الصراع. كما أن روسيا بدأت بتطبيق فكرة سولجينتسين بإعطاء المناطق الأوكرانية حق تقرير مصيرها في العام 2014 حين قامت بإجراء استفتاء في شبه جزيرة القرم أدّى إلى انضمامها إلى روسيا بعد تصويت 96.77٪ بالموافقة على الموضوع. وبعد اندلاع الصراع بين روسيا وأوكرانيا في شباط 2022 أجرت السلطة في موسكو استفتاءات، في أيلول 2022، في أربع مناطق أوكرانية، دونيتسك ولوهانسك وزاباروجيا وخيرسون، أدّت إلى انضمام هذه المناطق لروسيا.

جدول رقم 3: نتائج الاستفتاءات لضم مناطق من أوكرانيا إلى روسيا[35]

المنطقة	عدد المشاركين	نسبتهم من إجمالي سكان المنطقة	نسبة الموافقين على الانضمام لروسيا
خيرسون	571,001	٪78.86	٪87.05
زاباروجيا	541,093	٪85.4	٪93.11
لوهانسك	1,662,607	٪94.15	٪98.42
دونيتسك	2,131,207	٪97.51	٪99.23

5.2 سولجينتسين وبوتين

في 20 أيلول عام 2000 التقى سولجينتسين لأول مرة الرئيس الروسي المنتخب حديثًا حينها فلاديمير بوتين. آنذاك، كان سولجينتسين منتقدًا قويًا لسياسات الحكومة الروسية ولكنه كان متفهّمًا للدور الصعب المطلوب من بوتين. بعد ذلك بعام، في آب 2001، صرّح بوتين أنه قبل إقراره الإصلاحات التعليمية، أرسل مشاريع الإصلاحات إلى "عدّة أشخاص، معروفين ومحترمين من قبل الدولة، بمن فيهم ألكسندر سولجينتسين"[36].

وفي 5 تموز 2007، وقّع الرئيس بوتين مرسومًا بتكريم سولجينتسين "لإنجازاته النموذجية في مجال الأنشطة الإنسانية". لم يستطع سولجينتسين المشاركة بالاحتفال واستلام الجائزة بسبب مرضه، فقام بوتين بزيارته في منزله وتقديم الجائزة شخصيًا له. وبعد وفاة سولجينتسين عام 2008 قال بوتين: "نحن فخورون بأن ألكسندر سولجينتسين كان مواطننا ومعاصرنا. سوف نتذكره كشخص قوي وشجاع يتمتع بشعور كبير

[35] Tass, "Majority of voters in Donbass, Zaporozhye, Kherson Regions opt to join Russia", September 28, 2022. https://tass.com/politics/1514527

[36] Joseph Pearce, "Solzhenitsyn and Putin", The Imaginative Conservative, March 15, 2022. https://theimaginativeconservative.org/2022/03/solzhenitsyn-putin-joseph-pearce.html#_ednref1

من الكرامة. أنشطته ككاتب وشخصية عامة ورحلة حياته الطويلة والشائكة سوف تبقى لنا نموذجًا للإخلاص الحقيقي والخدمة المتفانية للشعب والوطن الأمّ ومُثُل الحرية والعدالة والإنسانية"[37].

وفي الذكرى الأولى لوفاة سولجينتسين أرسل فلاديمير بوتين برقية إلى زوجته وصف فيها المؤلّف الروسي بأنه "فرد عالميسوف يحتل تراثه الإبداعي والإيديولوجي دائمًا مكانًا خاصًا في تاريخ الأدب الروسي وفي سجلّات البلاد".

في محاولة لوصف علاقة بوتين وسولجينتسين، يرى دانيال ماهوني، مؤلّف كتاب "ألكسندر سولجينيتسين: الصعود من الأيديولوجيا"، أن سولجينيتسين هو "مؤيّد منتقد للوضع الراهن في روسيا. فسولجينيتسين بالتأكيد ينسب الفضل لبوتين في مواجهة الأوليغارشيّين في روسيا، ومواجهة الأزمة الديموغرافية، كان سولجينتسين أول من حذّر في خطابه أمام مجلس الدوما في خريف عام 1994 من أن الروس كانوا في طريقهم إلى الانقراض، ودعا إلى استعادة احترام الذات الروسية"[38].

بالإضافة إلى ذلك اعتبر إدوارد بونارين، في مقال نشره عام 2000 في مركز "برنامج حول مناهج جديدة للبحث والأمن في أوراسيا"، أن الرئيس بوتين "يبحث عن هوية سياسية وشرعية أيديولوجية. في غياب البدائل الواقعية، وقد تصبح أيديولوجية سولجينتسين بالفعل عنصرًا رئيسيًا للهوية الروسية الناشئة - ليس فقط على المستوى الحكومي، ولكن للمجتمع أيضًا "[39].

لا شك أن بوتين أولى اهتمامًا كبيرًا للتاريخ الذي صاغه سولجينيتسين حول الحقبة السوفياتية. ففهم هذه الحقبة من منظار المنتقد لها، والتركيز على أخطائها موضوع مهم لرئيس وكّلت إليه مهمّة قيادة روسيا الحديثة وإعادتها كدولة قوية على المسرح العالمي. لهذا قام بوتين في العام 2010 بإلزام وزارة التعليم الروسية بإصدار نسخة خاصة بالمدارس عن كتاب سولجينتسين "أرخبيل الغولاغ"، وتعميم هذه النسخة على المدارس الروسية كي تدخل ضمن المنهج التعليمي[40]. وفي كلمة لبوتين عام 2010 قال: " قراءة هذا الكتاب أمر أساسي، فبدون معرفة هذا الكتاب سنفتقر إلى فهم كامل لبلدنا وسيكون من الصعب علينا التفكير في

---

[37] Russiapedia, "Prominent Russians: Aleksandr Solzhenitsyn".
https://russiapedia.rt.com/prominent-russians/literature/aleksandr-solzhenitsyn/

[38] Joseph Pearce, "Solzhenitsyn and Putin", The Imaginative Conservative, March 15, 2022.
https://theimaginativeconservative.org/2022/03/solzhenitsyn-putin-joseph-pearce.html#_ednref1

[39] Eduard Ponarin, "Alexander Solzhenitsyn as a Mirror of the Russian Counter-Revolution", European University at St. Petersburg, October 2000.
https://www.ponarseurasia.org/wp-content/uploads/attachments/pm_0150.pdf

[40] Reuters, "Solzhenitsyn's "Gulag" mandatory in Russian schools", October 26, 2010.
https://www.reuters.com/article/us-russia-book-solzhenitsyn-idUSTRE69P4MT20101026

المستقبل"[41]. كما أن سولجينيتسين من المؤلّفين الذين كتبوا كثيرًا عن الثقافة الروسية الفريدة المتأصّلة في قيم الكنيسة الأرثوذكسية الروسية والقومية السلافية، وهي مواضيع ازداد تطرّق بوتين لها بعد اندلاع الحرب في أوكرانيا في شباط 2022. وعليه يمكن القول إن عملية إحياء روسيا في عهد بوتين جاءت متوافقة مع وجهات نظر سولجينتسين الأرثوذكسية والوطنية المحافظة.

ثالثًا: النُخب السياسية والعسكرية

6. بيتر أركاديفيتش ستوليبين (1862 – 1911)

"كل عام من السلام يقوّي روسيا، ليس فقط عسكريًا ولكن أيضًا ماليًا واقتصاديًا. علاوة على ذلك، وهذا ضروري، فإن روسيا تنضج من سنة إلى أخرى، ونرى ظهور وعي عام عند الناس"

وُلد بيتر ستوليبين في دريسدن، شرقي ألمانيا، في 14 نيسان 1862. كان والده جنرالًا معروفًا في الجيش الروسي وكانت والدته ابنة وزير الخارجية الروسي في ذلك الوقت. وبفضل علاقات والديه كان ستوليبين على صلة بالعديد من الجنرالات والشخصيات السياسية في روسيا.

بعد تخرّجه من كلّية الرياضيات والفيزياء في جامعة سان بطرسبورغ عام 1884 انضم ستوليبين إلى وزارة الداخلية عام 1885. وبعد أربع سنوات تم تعيينه قائدًا لمقاطعة كوفنو، وكان أصغر قائد يُعيّن في هذا المنصب، وبعدها عُيّن قائدًا لمقاطعتي غرودنو (1902-1903) وساراتوف (1903-1906).

في العام 1905 انتهت الحرب بين الإمبراطورية الروسية والإمبراطورية اليابانية بانتصار اليابانيين. وكانت هزيمة الروس في هذه الحرب سببًا رئيسًا لاندلاع الثورة الروسية الأولى التي طالب فيها الثوار بالاستقلال وهو ما كان يعني تفكّك الإمبراطورية الروسية. وبصفته قائدًا لمقاطعة ساراتوف تعامل ستوليبين مع الثوار باستخدام مزيج من الحزم والتفاهم مما جذب انتباه القيصر نيكولاس الثاني.

ونتيجة لأعماله الحاسمة في ساراتوف، عُيّن ستوليبين وزيرًا للداخلية في أيار 1906 قبل أن يصبح رئيسًا للوزراء في تموز من العام نفسه. وفي ضوء الاضطرابات المدنية المتزايدة بدأ ستوليبين سلسلة من المحاكمات السريعة كانت نتائجها في كثير من الأحيان قاسية. فأثناء وجوده رئيسًا للحكومة صدر ما يقارب 3000 حكم بالإعدام شنقًا[42]. ولذلك برز في ذلك الوقت مصطلح "ربطة عنق ستوليبين"، بمعنى حبل الإعدام، وعبارة "عربة ستوليبين" لوصف القطارات التي نقلت السجناء إلى معسكرات الأشغال الشاقة.

---

[41] Joseph Pearce, "Solzhenitsyn and Putin", The Imaginative Conservative, March 15, 2022 https://theimaginativeconservative.org/2022/03/solzhenitsyn-putin-joseph-pearce.html#_ednref1

[42] Russiapedia, "Prominent Russians: Pyotr Stolypin"

كرئيس للحكومة الروسية، لم يكن ستوليبيين حازمًا في قمع الاحتجاجات فحسب، بل بدأ أيضًا في إصلاح نظام الحكومة والاقتصاد، وقبل كل شيء عمد إلى إجراء إصلاحات تطال المجتمع الزراعي في البلاد. وتذكر كتب التاريخ الروسية أن الإصلاح الرئيسي الذي قام به ستوليبين هو الإصلاح الزراعي، فقام بدعم الفلاحين وتحويلهم إلى مزارعين صغار، أراد أن يكونوا حصنًا للسلطة، وقدّم لهم قروضًا وتسهيلات، وسلّمهم أراضي صغيرة تابعة للبلدية. لذلك يشيد البعض بستوليبين باعتباره المنقذ الذي قام بإصلاحات متعدّدة ومنع تفكّك الإمبراطورية الروسية، بينما يدينه آخرون باعتباره "الشانق" الرئيسي.

تعرّض ستوليبين لعدّة محاولات اغتيال لعل أبرزها تفجير حفل استقبال في منزله بتاريخ 25 آب 1906. أسفر التفجير عن إصابة ستوليبين بجروح طفيفة، ومقتل 28 شخصًا وأصيبت ابنته في ساقيها ما أدّى إلى شللها. كان ستوليبين يعلم أن الثوريين يسعون لقتله لذلك كان يتنقّل برفقة حرس شخصي دائمًا. وفي 14 أيلول 1911، أثناء تواجده في حفل أوبرا في مدينة كييف برفقة القيصر نيكولاس الثاني أطلق عضو الحزب الاشتراكي الثوري اليهودي دميتري بوجروف النار على ستوليبين ما أدّى إلى إصابته بجروح خطيرة أدّت إلى وفاته في 18 أيلول 1911.

6.1 ستوليبين والإصلاحات الدينية[43]:

خلال ثورة عام 1905 تصاعدت الاعتراضات على أسلوب تعاطي الحكومة الروسية مع الأديان والمعتقدات غير الأرثوذكسية. لذلك سعى ستوليبين إلى إرضاء أتباع الأديان المختلفة دون استفزاز الأرثوذكسيين الروس. ولامتصاص غضب الثوار المتديّنين قام ستوليبين بمنح حوالي 1600 شخص عوقبوا بسبب المعارضة الدينية إما العفو أو السماح لهم بالعودة من المنفى.

كما قام ستوليبين بتعيين لجنة خاصة للبحث عن طرق للتوفيق بين مبدأ الحرية الدينية والحفاظ على الامتيازات الخاصة للكنيسة الأرثوذكسية. بالنسبة لستوليبين كان الإصلاح الديني جزءًا من عملية التحديث في الإمبراطورية الروسية، لكنه تصوّره أيضًا كوسيلة لنزع سلاح المتطرّفين الذين استغلّوا العداء العميق تجاه قيود الحكومة على المواطنين غير الأرثوذكس. وبتوجيه من ستوليبين ناقش مجلس الوزراء الروسي مجموعة واسعة من الموضوعات الدينية، بما في ذلك إدخال إجراءات مدنية لتسجيل المواليد والوفيات والزيجات وإلغاء التعليم الديني في المدارس.

كان ستوليبين يعتقد أن روسيا يجب أن تظل دولة مسيحية تستمر فيها الحكومة في لعب دور مهم في الشؤون الدينية. كما أنه أكّد على ضرورة أن تعطي الحكومة الأفضلية للأرثوذكسية، كونها عقيدة غالبية السكان. لكنه لم يؤيد فرض قيود صارمة على الأديان الأخرى وأراد أن تكون الدولة غير متداخلة قدر الإمكان في

https://russiapedia.rt.com/prominent-russians/politics-and-society/pyotr-stolypin/index.html

[43] Abraham Ascher, "P. A. Stolypin: The Search for Stability in Late Imperial Russia", Stanford University Press, 2002.

مسائل المعتقد الشخصي. وأعرب عن رغبته في أن يمتد إلى الهيئات الدينية نفس الحقوق الممنوحة لأي جمعية أخرى.

لم ينجح ستوليبين في تحقيق ما كان يصبو إليه وتعرّض لانتقادات كثيرة من الأرثوذكسيين المتديّنين. كما أنه واجه معارضة شديدة في مجلس الدوما الروسي بسبب اقتراحاته الحد من القيود المفروضة على الديانات غير الأرثوذكسية وطرحه لمشاريع قوانين بشأن الحرية الدينية. وبسبب تزايد الانتقادات له ألقى خطابًا في مجلس الدوما بتاريخ 22 أيار 1909 تحدّث فيه عن تخلّيه عن مقترحاته السابقة، ولكنه أكّد في الوقت ذاته على التزامه بالإصلاح الديني.

6.2 السياسة الخارجية لستوليبين[44]

وفقًا للقانون حينها، كانت الشؤون السياسية والعسكرية تخضع مباشرة للقيصر الروسي وليس لرئيس الوزراء. وكان وزيرا الدفاع والشؤون الخارجية يقدّمان تقاريرهما مباشرة إلى القيصر ويمكنهما تجاوز رئيس الوزراء ومجلس الوزراء في القضايا المتعلقة بإداراتهما. وبالتالي لم يعطِ القانون دورًا رئيسيًا لستوليبين في السياسة الخارجية.

رغم هذا أصرّ ستوليبين على أنه كرئيس للوزراء لا يمكن أن يكون غير معني بتوجّهات الإمبراطورية في السياسة الخارجية. كما أصرّ على مرافقة القيصر في بعض الاجتماعات الدولية ومارس تأثيرًا قويًا على المسار العام لعلاقات روسيا مع الدول الأجنبية، وأصرّ على إبلاغه بجميع القرارات الرئيسية لوزرائه، وأن يساهم في صياغة السياسة الخارجية. ويذكر المؤرّخون أن دافع ستوليبين لم يكن زيادة نفوذه وتأثيره في السلطة بل كان مقتنعًا بأن هناك صلة وثيقة بين السياسات الخارجية والداخلية. لقد فهم أن قرارات السياسة الخارجية التي أدّت إلى اندلاع الحرب مع اليابان قد أثّرت بقوة على التطورات الداخلية في عام 1905.

رأى ستوليبين أن خسارة الحرب مع اليابان والثورة في العام 1905 أضعفتا الإمبراطورية الروسية بشكل كبير. لذلك كان مقتنعًا بأن الإمبراطورية لا تستطيع تبنّي سياسة حازمة في الساحة الدولية، وكان ثابتًا في تصميمه على إبعاد روسيا عن التشابكات الخارجية التي يمكن أن توتر العلاقات مع الآخرين وتقوّض برنامجه المحلّي، وأصرّ دائمًا على سياسة خارجية حذرة.

في 28 تموز 1911، أي قبل حوالي خمسة أسابيع من وفاته، كتب ستوليبين رسالة طويلة إلى إيزفولسكي، السفير الروسي في باريس، وضّح فيها وجهات نظره حول دور روسيا في الشؤون الدولية. في الواقع، كان التصميم على تجنّب الصراع المسلّح هو الموضوع الرئيسي للرسالة بأكملها. كتب ستوليبين: "نحن بحاجة إلى السلام. الحرب إن حصلت في السنوات القليلة المقبلة، خاصة إذا اندلعت لأسباب لا يفهمها الناس، ستكون قاتلة لروسيا. من ناحية أخرى، كل عام من السلام يقوّي روسيا، ليس فقط عسكريًا ولكن أيضًا ماليًا

[44] Abraham Ascher, "P. A. Stolypin: The Search for Stability in Late Imperial Russia", Stanford University Press

واقتصاديًا. علاوة على ذلك، وهذا ضروري، فإن روسيا تنضج من سنة إلى أخرى، ونرى ظهور وعي عام عند الناس". هذه الكلمات اختصرت رؤية ستوليبين لسياسة روسيا الخارجية، وعلاقة هذه السياسة بالداخل الروسي. فهو كان بحاجة للسلام الخارجي كي ينجح بتحصين نفسه في الداخل عبر تطبيق الإصلاحات المختلفة كي تعود روسيا قوية على الساحة الدولية.

6.3 ستوليبين وبوتين

أثناء تولّي الرئيس الروسي فلاديمير بوتين منصب رئاسة الوزراء، بين عامي 2008 و2012، وصف بوتين ستوليبيت قائلًا " لقد كان وطنيًا حقيقيًا وسياسيًا حكيمًا، أظهر شجاعة شخصية ورغبة في تحميل نفسه كامل عبء المسؤولية عن دولة البلاد. فهو كان صاحب إرادة لا تنتهي في سعيه لضمان النمو الاقتصادي في لحظة مضطربة من تاريخ البلاد". وأثناء وجوده على رأس الحكومة في العام 2012، أمر بوتين وزراء حكومته بالتبرع بمعاشاتهم لمدة شهر لبناء تمثال لستوليبين. ويعتبر البعض أن بوتين يرى نفسه نموذجًا ناجحًا عن ستوليبين، حيث استطاع تجنّب أي انتفاضة وضمان مستوى من الاستقرار وبناء دولة قوية.

في روسيا، غالبًا ما يُستشهد بستوليبين كواحد من آخر رجال الدولة الرئيسيين في الإمبراطورية الروسية، مع برنامج سياسي محدد بوضوح وتصميم على إجراء إصلاحات كبيرة. ويصفه البعض بأنه أعظم زعيم روسي في الفترة القيصرية. ويرى خبراء أنه كان السياسي الذي أدرك الارتباط القائم بين السياسة الخارجية والسياسة الداخلية ورسم سياساته على أساس تجنّب التوترات في العلاقة مع الدول بينما كان يقوم بالإصلاح الداخلي الذي يؤدّي إلى تحصين البلاد وتحضيرها لمرحلة تصبح فيها قادرة على تحقيق مصالحها على الساحة الدولية.

وفي كلمة لبوتين في العام 2012 تحدّث الرئيس الروسي عن ستوليبين قائلًا: " كان يعتقد أنه لا ينبغي فصل الدولة والمجتمع عن بعضهما البعض، وأن الدولة في شكل حكومة ومجتمع في شكل مؤسسات عامة يجب أن توحّدهما مسؤولية مشتركة عن البلاد. عندما يخدم ذلك مصالح الدولة، كان دائمًا يتخذ موقفًا صارمًا لا هوادة فيه ولم يكن يخشى أبدًا اتخاذ قرارات لا تحظى بشعبية. لقد صاغ بيتر ستوليبين أيديولوجية الإصلاح وأطلق تغييرًا واسع النطاق في جميع مجالات الحياة تقريبًا في روسيا. وأعرب عن اعتقاده أن الهدف الرئيسي هو إزالة جميع العقبات والقيود أمام تطوير القوى المنتجة. كان يعتقد أنه من الضروري إطلاق الطاقة الإبداعية للأمة وتوجيهها. لقد أنشأ أسسًا للسياسة الاجتماعية في روسيا، وأصلح مؤسسات الدولة والوكالات الحكومية وضمن نموًا للصناعات واختراقًا صناعيًا مثيرًا للإعجاب. أود أن أذكركم أن الاقتصاد الروسي في ذلك الوقت كان ينمو بأعلى وتيرة في العالم. كما نفّذ مشاريع تنموية كبيرة في سيبيريا والشرق الأقصى. وكان آخر إنجازاته، وليس أقلّها، هو الإصلاح الزراعي الذي كان له إمكانات مذهلة. وهنا يجب استذكار كلماته: امنحوا روسيا 20 عامًا

من السلام والهدوء الداخلي والخارجي وسيتغير الواقع بشكل لا يمكن إدراكه. تشير هذه الكلمات إلى إيمانه العميق بروسيا وشعبها"[45].

اعتبر معظم المعلّقين الروس على هذه الكلمات أن بوتين بذكره ستوليبين كان يتحدّث عن نفسه. ويرى كثيرون أن مواصفات ستوليبين تجلّت في الرئيس الروسي منذ تولّيه الحكم في العام 2000. فهو الرئيس الذي ركّز على الداخل وقام بالإصلاحات وحسّن الوضع الاقتصادي قبل أن يبدأ بترجمة توجّهاته في السياسة الخارجية. وهو الرئيس الذي عمل على تحصين بلاده داخليًا قبل أن ي ُقدم على خطوته الأخيرة بالدخول إلى أوكرانيا. فمثلًا، تُظهر الأرقام أن روسيا حضّرت نفسها لمواجهة العقوبات الغربية منذ العام 2014 بشكل أساسي، أي منذ أن تغيّر النظام في أوكرانيا من نظام موال لروسيا إلى آخر موالٍ لأميركا. فاحتياطي العملات الأجنبية لدى روسيا، بلغ في شهر شباط من العام 2022 630.2$ مليار، بينما كان 386.2$ مليار في العام 2014، ممّا يعني أنّ روسيا عمدت إلى زيادة احتياطيها بنسبة 63٪ خلال الأعوام الثمانية الماضية.

كما تتبع روسيا منذ عام 2014[46] استراتيجية تهدف إلى تخفيض اعتمادها على الدولار واستبداله بعملات أخرى، بحيث تظهر أرقام العام 2021 أن الاحتياطيات الأجنبية الروسية تتوزّع على خمس عملات أساسية: اليورو (32.3٪)، الذهب (21.7٪)، الدولار (16.4٪)، اليوان الصيني (13.1٪)، والإسترليني (6.5٪). وهنا لا بدّ من الإشارة إلى أنه بين عامي 2020 و2021 مثلًا انخفضت نسبة الدولار من الاحتياطيات الأجنبية الروسية من 22.2٪ إلى 16.4٪. كذلك أعلنت وزارة المالية الروسية، في شهر تموز الماضي، خفض حصّة الدولار في "صندوق الثروة الوطني" للبلاد إلى الصفر. هذا التراجع الملحوظ في حصة الدولار من الاحتياطي هو نتيجة القرارات المختلفة التي اتّخذتها موسكو للتخلّص من الدولار، تحسّبًا للعقوبات التي قد تُفرض عليها في أيّ مواجهة مع واشنطن. في المقابل زادت روسيا من إنتاجها للذهب خلال الأعوام الماضية حتى أصبحت ثاني أكبر منتج للذهب في العالم في عام 2020 بحيث أنتجت 331.1 طنًا وبلغت حصّتها من الذهب في العالم 23.3٪.

بالإضافة إلى ذلك عمد بوتين إلى إجراء إصلاحات في القطاع المصرفي الروسي منذ العام 2014. ففي حزيران 2013 عيّن بوتين إلفيرا نابيولينا بمنصب محافظ البنك المركزي في روسيا. قبل تعيينها في منصبها كان عدد المصارف والمؤسسات الائتمانية في روسيا يزيد على 1000، أما اليوم فأصبح عددها 370 وذلك بسبب إقدام المصرف المركزي الروسي على سحب تراخيص مئات المصارف والمؤسسات الائتمانية. وعند سؤال بوتين عن سبب هذا القرار أجاب أن "سحب التراخيص يهدف إلى تحسين النظام المالي في روسيا".

---

[45] SRB Podcast, "Putin Channels Stolypin", July 14, 2011.
https://srbpodcast.org/2011/07/14/putin-channels-stolypin/

[46] المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق، مديرية الدراسات الاقتصادية، سلسلة المواكبة الاقتصادية، العدد 4، آذار 2022.
http://www.dirasat.net/uploads/research/6105785.pdf

لذلك يعتقد كثيرون أن أسلوب إدارة بوتين للبلاد مستوحى من أسلوب ستوليبين. والتركيز هنا بشكل أساسي على الخطوات الإصلاحية التي قام بها بوتين وعلى العلاقة بين السياسة الداخلية والخارجية للبلاد وعلى نجاحه في إبعاد روسيا عن التوترات الداخلية وتوحيد المجتمع خلف السلطة. ثم إن بوتين يتحدّث كثيرًا عن إعجابه بستوليبين فهو بالنسبة له "الوطني الحقيقي وصاحب إرادة لا تنتهي في سعيه لضمان النمو الاقتصادي".

7. أنطون إفانوفيتش دينيكين (1872-1947)

"لن يسمح أي نموذج من روسيا، سواء أكانت رجعية أم ديمقراطية، جمهورية أم سلطوية، بفصل أوكرانيا"

وُلد أنطون دينيكين بالقرب من نهر فيستولا في بولندا الروسية عام 1872، وهو ابن فلاح وقد تأثّر بقصص والده عن حياة الجيش ودرس في الأكاديمية العسكرية في كييف وأكاديمية الأركان العامة في سان بطرسبرج وتخرّج جنديًا مميّزًا وترقّى إلى رتبة رائد في الجيش الإمبراطوري الروسي. تميّزت عائلة دينيكين بولائها المطلق لروسيا والكنيسة الروسية الأرثوذكسية والقيصر.

قاتل دينيكين في الحرب الروسية اليابانية عام 1904. ومع اندلاع الحرب العالمية الأولى وصل دينيكين إلى رتبة ملازم أول. قاد الوحدات القتالية على الجبهة الجاليكية47 قبل أن يعود إلى تعيينات الأركان، حيث عمل كرئيس أركان للجنرالات أليكسي بروسيلوف ولافر كورنيلوف.

بعد ثورة تشرين الأول 1917، سافر دينيكين إلى القوقاز مع كورنيلوف، حيث شكّلا جيشًا مضادًا للثورة لطرد البلاشفة من جنوب روسيا. وقد تولّى دينيكين قيادة هذا الجيش بعد مقتل كورنيلوف بقذيفة مدفعية في نيسان 1918.

كان أنطون دينيكين أحد أنجح قادة الحركة البيضاء. وكاد أن ينجح في هزيمة القوات البلشفية في عام 1919 خلال الحرب الأهلية. بشكل عام، بين عامي 1918 و1919، قاتل جيشه بنجاح ضد الجيش السوفياتي، واستطاع السيطرة على مساحات شاسعة من الأراضي في أوكرانيا والقوقاز وجنوب روسيا. بالنسبة لدينيكين كانت الثورة البلشفية من عمل اليهود، ولذلك توجّب عليه محاربتها والدفاع عن الأرثذوكس[48]. لذلك تذكر العديد من كتب التاريخ أن دينيكين كان من أكثر الشخصيات اضطهادًا لليهود في روسيا[49].

---

[47] كانت كيانًا سياسيًا معلنا بذاته قام أيام الاتحاد السوفياتي واستمر لفترة قصيرة وهو الآن يقع في غرب أوكرانيا.

[48] Jennifer Llewellyn & Steve Thompson, "Anton Denikin", Alpha History, April 30, 2019. https://alphahistory.com/russianrevolution/anton-denikin/

[49] Nokhem Shtif, "The Pogroms in Ukraine, 1918-19", Cambridge, 2019.

كانت مفاهيم دينيكين عن الشرف والشجاعة والوطنية متداخلة مع الأحكام السياسية، ولهذا كان يرى جميع المواضيع من منظار واحد. فقناعته بأن البلاشفة كانوا مجرد عملاء روس جنّدهم القيصر الألماني جعلته يتجاهل الأسباب السياسية والاجتماعية داخل روسيا والتي أدّت لصعود البلشفية.

في منتصف عام 1919 شنّ جيش المتطوعين بقيادة دينيكين هجومًا كبيرًا للاستيلاء على العاصمة السوفياتية موسكو. استمر هذا التقدم بنجاح حتى أيلول من العام نفسه عندما أوقفت تعزيزات الجيش الأحمر تقدّم قوات دينيكين على بعد حوالي 200 ميل جنوب موسكو.

بعد سلسلة من الهزائم انسحب جيش دينيكين إلى شبه جزيرة القرم. وفي نيسان 1920 استقال دينيكين من قيادة جيش المتطوعين وهرب من روسيا إلى لندن عبر تركيا. أمضى الثلاثين عامًا الأخيرة من حياته في المنفى في دول أوروبية مختلفة، حيث عاش ككاتب ووثّق تاريخ الجيش الروسي والحرب الأهلية.

أثناء وجوده في أوروبا وبعدما اندلعت الحرب العالمية الثانية طلبت ألمانيا من دينيكين قيادة القوات الروسية[50] في جيش الرايخ الثالث، التسمية النازية الرسمية للنظام في ألمانيا، لكنه رفض محاربة الاتحاد السوفياتي. وخوفًا من ترحيله إلى روسيا بسبب رفضه القتال في صفوف ألمانيا انتقل إلى الولايات المتحدة في عام 1945، وتوفي ودُفن هناك عام 1947. بناء على أوامر من بوتين، تم نقل رفاته إلى موسكو عام 2005 ودفن في مقبرة دونسكوي.

ينتقد البعض في روسيا أنطون دينيكين بينما يدافع عنه آخرون. ينظر إليه المدافعون عنه باعتباره وطنيًا روسيًا تميّز في ساحات القتال في الحرب الروسية اليابانية والحرب العالمية الأولى والحرب الأهلية الروسية. ويذكره المؤرّخون المؤيدون له كقائد للحركة البيضاء عارض بقوة النظام البلشفي "غير الشرعي" حاول إنشاء "روسيا حرة وقوية"[51]. أما منتقدوه فيشيرون إلى ارتكاب جيشه فظائع جماعية ومذابح معادية لليهود. ويعتبرون أنه ارتكب أخطاء إستراتيجية كثيرة، في المجالين العسكري والسياسي، مما ساعد على الإسراع بهزيمة القوات البيضاء في جنوب البلاد.

أثناء زيارة لمقبرة دونسكي عام 2009 حثّ بوتين، الذي كان رئيسًا للوزراء حينها، الصحفيين "على قراءة مذكّرات دينيكين، وتحديدًا الجزء الذي يشير إلى أوكرانيا"[52]. يتحدّث دينيكين في مذكّراته عن روسيا العظمى

---

https://books.openedition.org/obp/11043?lang=en

[50] أفراد روس هربوا من روسيا بعد الثورة البلشفية وكانوا معادين للاتحاد السوفياتي.

[51] Evgenii Vladimirovich Volkov, "Denikin, Anton Ivanovich", International Encyclopedia of the First World War, April 24, 2018.

https://encyclopedia.1914-1918-online.net/article/denikin_anton_ivanovich

[52] Kyiv Post, "Putin: 'You certainly should read' Anton Denikin's diary; specifically, the part about 'Great and little Russia, Ukraine. He says nobody should be allowed to interfere between us. This is only Russia's", May 24, 2009.

والصغرى، حيث يعتبر أن الدول الموجودة اليوم والتي انفصلت عن الاتحاد السوفياتي هي "روسيا الصغرى، ولا يحق لأحد التدخّل بين روسيا العظمى وأراضيها الروسية الصغيرة. فهذا شأن داخلي"[53]. ويكمل دينيكين "لن يسمح أي نموذج من روسيا، سواء أكانت رجعية أم ديمقراطية، جمهورية أم سلطوية، بفصل أوكرانيا. إن الخلاف غير المنطقي الذي لا أساس له والذي يفاقمه الخارج بين روس موسكو وروس كييف هو نزاعنا الداخلي، وهو ليس من شأن أي شخص آخر وسيتم حلّه فيما بيننا"[54].

كان دينيكين مقتنعًا بأن النزعة الانفصالية في أوكرانيا يتم تشجيعها من قِبل أعداء روسيا في الخارج، فيكتب في مذكّراته أنه "سعيًا لإضعاف الدولة الروسية قبل إعلان الحرب عليها، سعى الألمان إلى تفكيك روسيا الموحدة. وللقيام بذلك دعموا تحرّكات في جنوب روسيا وضعت لنفسها هدفًا هو انفصال مقاطعاتها التسع عن روسيا تحت اسم "الدولة الأوكرانية""[55].

بالنسبة للجنرال دينيكين، كانت روسيا دائمًا مفهومًا إقليميًا. كانت الأرض بالنسبة له ذات قيمة كبيرة جدًا، وكان "ينظر إلى فقدان مساحات من البلاد على أنه انتهاك لروح روسيا"[56]. وكان مؤمنًا بوجوب الدفاع عن الأراضي الروسية حتى لو كان ذلك يعني مساعدة النظام السوفياتي على مقاومة المعتدين من الخارج. ورغم استمراره بمعارضة النظام السوفياتي، فقد آمن بقدسية الأراضي الروسية والحاجة للدفاع عنها. وقال في خطاب له: إن "تسليم الأراضي لقوى أجنبية قد يؤدي إلى سقوط القوة السوفياتية"[57].

---

https://www.kyivpost.com/article/content/ukraine-politics/putin-you-certainly-should-read-anton-denikins-dia-42032.html

[53] Mario Kessler, "The Forgotten History of Ukrainian Independence", Rosa Luxemburg Stiftung, March 21, 2022. https://www.rosalux.de/en/news/id/46176/the-forgotten-history-of-ukrainian-independence

[54] Oleksiy Yarmolenko & Serhii Pyvovarov, "Putin often quotes the philosopher Ivan Ilyin and General Anton Denikin. They lived a century ago, both denied Ukraine's independence and advocated dictatorial rule. And this is how they described", Бабель, April 6, 2022.
https://babel.ua/en/texts/77596-putin-often-quotes-the-philosopher-ivan-ilyin-and-general-anton-denikin-they-lived-a-century-ago-both-denied-ukraine-s-independence-and-advocated-dictatorial-rule-and-this-is-how-they-described

[55] Oleksiy Yarmolenko & Serhii Pyvovarov, "Putin often quotes the philosopher Ivan Ilyin and General Anton Denikin. They lived a century ago, both denied Ukraine's independence and advocated dictatorial rule. And this is how they described", Бабель, April 6, 2022.
https://babel.ua/en/texts/77596-putin-often-quotes-the-philosopher-ivan-ilyin-and-general-anton-denikin-they-lived-a-century-ago-both-denied-ukraine-s-independence-and-advocated-dictatorial-rule-and-this-is-how-they-described

[56] William G. Rosenberg, "A. I. Denikin and the Anti-Bolshevik Movement in South Russia", Amherst, 1961

[57] Paul Robinson, "THE WHITE RUSSIAN ARMY IN EXILE. 1920-1941", ST. ANTONY'S COLLEGE, 1999
https://ora.ox.ac.uk/objects/uuid:9ef9cae6-6f94-4733-8e19-bb8e8ad117ae/download_file?file_format=pdf&hyrax_fileset_id=mf2b4b62c3a1ac77f0d3482035d1003db&safe_filename=602330178.pdf&type_of_work=Thesis

وكان دينيكين مؤيدًا قويًا لروسيا الإمبراطورية ولم يكن يتخيّل اليوم الذي تتقسّم فيه هذه الامبراطورية. لم يكن يفكّر بمصير النظام السياسي في البلاد بل كان هاجسه هو مستقبل روسيا ككيان. لذلك كانت مقارباته للأمور مدفوعة بما يراه مصلحة للبلاد. ولهذا رفض القتال في صفوف الألمان في وجه الاتحاد السوفياتي في الحرب العالمية الثانية. فرغم موقفه المعارض للبلاشفة عارض المشاركة بأي عمل ينتقص من الدولة الروسية. وكان شعاره الدائم: روسيا العظمى الموحّدة وغير القابلة للتقسيم.

يجادل منتقدو دينيكين أنه سمح بالفساد وسوء الانضباط بالانتشار بين قواته، وأظهر عدم قدرته على منع قواته من القيام بانتهاكات بحق المدنيين. وكرجل عسكري، يعتبر منتقدو دينيكين أنه كان يميل إلى اعتبار نضاله في وجه البلاشفة نضالًا عسكريًا بحتًا ولم يعط أي اهتمام للمشاكل السياسية والاجتماعية التي كانت تحيط بالبلاد. بالإضافة إلى ذلك، يذكر المؤرّخون أن سياسات دينيكين اتجاه اليهود هي وصمة عار في مسيرته.

8. أناتولي ألكساندروفيتش سوبتشاك (1937 – 2000)

"الجمهوريات التي كانت مؤسِّسة للاتحاد، بعد أن شجبت معاهدة الاتحاد لعام 1922، يجب أن تعود إلى الحدود التي كانت عليها قبل الانضمام إلى الاتحاد السوفياتي"

وُلد أناتولي سوبتشاك في العاشر من آب عام 1937 في بلدة تشيتا بشرق سيبيريا بالقرب من الحدود الصينية. كان والده، وهو من أصول بولندية-تشيكية، وعاملًا في السكك الحديدية، وكانت والدته من أصل روسي وأوكراني وتعمل في المحاسبة. عندما بلغ عمر السنتين انتقل مع عائلته إلى أوزبكستان. وبعد اندلاع الحرب العالمية الثانية عام 1939 ذهب والده للقتال في صفوف القوات الروسية. يتحدّث سوبتشاك عن معاناة عائلته من الفقر بعدما تركهم والده للمشاركة في الحرب فيقول: "عندما كنت صغيرًا كان الطعام أغلى وأندر شيء. كان لدي الكثير من الأصدقاء، وحيوانات أليفة، وكنت ألعب معهم، لكن لم يكن لديّ ما يكفي من الطعام. ما زلت أتذكر ذلك الشعور المستمر بالجوع"[58].

خلال الحرب، تم إجلاء أساتذة جامعة لينينغراد وسكن بعضهم بالقرب من سوبتشاك. وقد أثارت إعجابه القصص التي رووها له عن لينينغراد والحياة الجامعية فقرّر أنه لن يدرس إلا في لينينغراد.

بعد تخرّجه من المدرسة الثانوية، التحق سوبتشاك بكلية الحقوق بجامعة طشقند. درس هناك لمدة عام ثم انتقل إلى جامعة ولاية لينينغراد، حيث حلم بالدراسة منذ صغره. كان يحب الدراسة كثيرًا وكان من المتفوّقين

[58] Russiapedia, "Prominent Russians: Anatoly Sobchak".
https://russiapedia.rt.com/prominent-russians/politics-and-society/anatoly-sobchak/

مما خوّله أن الحصول على "منحة لينين"، وهي أعظم إنجاز لأي طالب سوفياتي. خلال دراسته الجامعية تزوّج من نونا غاندزيوك، وهي من مسقط رأسه جاءت أيضًا إلى لينينغراد للتعلّم في الجامعة. لم تكن المنحة الدراسية كافية لدفع الفواتير لذلك عاش وزوجته حياة فقيرة؛ لكنه اعتبر أن ما يفتقر إليه من طعام تم تعويضه من خلال الحياة الثقافية الوفيرة في لينينغراد. بعد فترة رُزق سوبتشاك وزوجته بابنتهما ماريا، التي اتبعت فيما بعد خطى والدها وأصبحت محامية[59].

بعد الجامعة تم إرسال سوبتشاك للعمل كمحام في منطقة ستافروبول، جنوب روسيا، وهي مسقط رأس آخر زعيم للاتحاد السوفياتي ميخائيل غورباتشوف. عمل سوبتشاك هناك لمدة ثلاث سنوات، ويعتقد كثيرون أنه تعرّف إلى غورباتشوف الذي كان هو أيضًا محاميًا في المنطقة نفسها. وفي عام 1962، أي بعد ثلاث سنوات من العمل في ستافروبول، عاد سوبتشاك إلى لينينغراد لدراسة الدكتوراه.

قدّم سوبتشاك أطروحة الدكتوراه الخاصة به في عام 1973، وطرح فيها أفكارًا لتحرير الاقتصاد الاشتراكي وتوثيق الروابط بين الدولة والقطاع الخاص. حينها لم تكن أفكاره مقبولة ولذلك رُفضت أطروحته. وبعد سنوات قليلة كتب أطروحة أخرى دافع عنها بنجاح وحاز شهادة الدكتوراه في القانون عام 1982. حينها كانت رياح البيريسترويكا[60] قد بدأت بالظهور، ونتيجة لذلك سُمح له بأن يصبح أستاذًا جامعيًا دون الانضمام إلى الحزب الشيوعي، فهو كان من القلائل الذين سُمح لهم بالتعليم دون أن يكونوا أعضاء بالحزب. كان سوبتشاك حينها ممن يدعون لسيادة القانون في مواجهة مفهوم النومنكلاتورا[61].

أسّس سوبتشاك وترأّس قسم القانون الاقتصادي في جامعة لينينغراد، كان أول قسم للقانون الاقتصادي في الاتحاد السوفياتي. وبينما كان أستاذًا جامعيًا كان الرئيس الروسي الحالي فلاديمير بوتين والرئيس السابق ديميتري ميدفيديف من تلامذته. وقد عُرف سوبتشاك بحكمته وأسلوب تدريسه ولذلك يعتقد كثيرون أن بوتين تأثّر كثيرًا بأفكار سوبتشاك في الجامعة. بالإضافة إلى تدريسه في الجامعة مارس سوبتشاك أيضا مهنة المحاماة. ومن خلال هذه المهنة تعرّف على زوجته الثانية ليودميلا ناروسوفا[62] والتي تزوّجها عام 1980. وفي عام 1981 رُزق بابنته كسينيا[63]، التي ترشّحت إلى رئاسة البلاد في وجه فلاديمير بوتين عام 2018.

---

[59] انتهى زواج سوبتشاك بالطلاق عام 1977.

[60] تُستخدم كلمة بيريسترويكا لوصف زمن التحديث العميق في الاتحاد السوفياتي من 1986-1991 الذي بدأه ميخائيل غورباتشوف.

[61] مصطلح كان متداولًا خلال فترة الاتحاد السوفياتي ويعني النظام الذي بموجبه يتم شغل المناصب المؤثرة في الحكومة والصناعة من قبل المعينين من الحزب الشيوعي.

[62] ليودميلا ناروسوفا حاليًا عضو في مجلس الاتحاد الروسي. دخلت عالم السياسة عام 1995 حين أصبحت عضوًا في مجلس الدوما.

[63] كسينيا سوبتشاك هي مذيعة تلفزيونية، وممثلة، وناشطة اجتماعية، توصف بأنها الولد الروحي للرئيس فلاديمير بوتين. اشتهرت كسينيا سوباتشاك بمواقفها المنتقدة لسياسات بوتين، خاصة لكونها ابنة أناتولي سوبتشاك. في عام 2012، أطلقت

8.1 دخول أناتولي سوبتشاك عالم السياسية

مع بداية البيريسترويكا قرّر سوبتشاك أنه يجب أن يكون له دور رئيسي في المرحلة المقبلة. بالنسبة له كانت الأحداث تتغير بسرعة، وكانت هناك حاجة لقوانين جديدة، وشعر أنه قادر على ممارسة دور فعّال في المرحلة الجديدة. انضم سوبتشاك عام 1988 إلى الحزب الشيوعي للاتحاد السوفياتي عام 1989، أي خلال مرحلة البيريسترويكا، وبينما كان غورباتشوف زعيمًا للاتحاد السوفياتي تم انتخاب سوبتشاك نائبًا عن الشعب لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية في أول انتخابات ديمقراطية في البلاد. وفي عام 1990 انتخب رئيسًا لمجلس مدينة لينينغراد. في العام التالي، وفي الانتخابات العامة لرئاسة المدينة، انتخب سوباتشاك أول رئيس لبلدية لينينغراد. وفي نفس اليوم، أُجري استفتاء حول إعادة الاسم التاريخي لسان بطرسبرغ بدلًا من لينينغراد[64].

أثناء تولّيه منصب رئيس بلدية سان بطرسبرغ جمع سوبتشاك فريقًا قويًا من الشباب المهنيين المتعلّمين يشكّل معظمهم الآن النخبة السياسية في روسيا. فمثلًا، كان نائب رئيس مجلس الأمن الروسي الحالي ديميتري ميدفيديف أحد مساعديه، وكان بوتين نائبًا له.

بحلول عام 1991، بدأ كثير من الناس ينظرون إلى سوبتشاك باعتباره البديل الأفضل لغورباتشوف. وفي آب 1991 شارك سوبتشاك في الحركة المناهضة للانقلاب[65] الذي قاده الحزب المحافظ والمسؤولون الحكوميون، الذين حاولوا عزل غورباتشوف ورفض الإصلاحات. قاد سوبتشاك المظاهرات في سان بطرسبرغ وكان على اتصال دائم مع بوريس يلتسين، الذي قاد المقاومة في مبنى البرلمان في موسكو. كان دور سوبتشاك حاسمًا، فسان بطرسبرغ هي ثاني أكبر مدينة في روسيا، ولولا جهوده لكان الانقلاب نجح هناك. بعد فشل الانقلاب، حاول سوبتشاك منع حل البرلمان، مدركًا أن التعطيل الكامل للمؤسسات القائمة يمكن أن يؤثّر أكثر من العمل ضمن نظام أقل من كامل. كان دور سوبتشاك الأساسي في منع نجاح الانقلاب بوابة دخوله التاريخ الروسي.

وتذكر المصادر الروسية أن الرئيس الروسي الحالي فلاديمير بوتين قد لعب دورًا حاسمًا في منع حصول مواجهة بين متشدّدي المخابرات السوفياتية (KGB) والحركة الديمقراطية الروسية الناشئة في سان بطرسبرج من خلال إبرام صفقة ساعدت في ضمان مستقبل جهاز الأمن في ثاني أكبر مدينة في البلاد[66].

سوبتشاك برنامجًا حواريًا غطّى مواضيع اجتماعية وسياسية. قابلت شخصيات معارضة بارزة في الحلقة الأولى وكانت تنوي إجراء مقابلة مع المعارض الروسي أليكسي نافالني لكنها لم تستطع بسبب إقفال القناة. وفي نيسان العام 2022 حازت على الجنسية الإسرائيلية التي استخدمتها للهروب من روسيا بعدما لاحقتها سلطات البلاد بتهم مختلفة.

[64] تم تغيير اسم المدينة حينها بعد تأييد 54 في المئة من المشاركين على اعتماد اسم سان بطرسبرغ بدل لينينغراد.

[65] كان الانقلاب السوفياتي الفاشل عام 1991، والمعروف أيضًا باسم انقلاب أغسطس، محاولة فاشلة من قبل المتشدّدين في الحزب الشيوعي السوفياتي للسيطرة بالقوة على البلاد من ميخائيل غورباتشوف، الذي كان الرئيس السوفياتي والأمين العام للحزب الشيوعي في ذلك الوقت.

[66] Nick Paton Walsh, "KGB kept in power by Putin", The Observer, 29 February 2004.

وبحسب شخصيات كانت مقرّبة من بوتين في تلك الفترة، لقد لعب الرئيس الروسي دورًا أساسيًا في ضمان أن المخابرات السوفياتية (KGB) لن تشعر بأن نفوذها يتضاءل في سنوات التحوّل الديمقراطي القادمة.

بعد انهيار الاتحاد السوفياتي ظهر نقاش دستوري حادّ بشأن الصراع على السلطة بين الرئيس بوريس يلتسين والبرلمان الروسي. من جهة كانت المحكمة الدستورية واللجنة الدستورية بالبرلمان الروسي، اللتان جادلتا أن روسيا بحاجة إلى نظام دستوري يضمن الرقابة والتوازن بين المؤسسات الدستورية على غرار الدستورية الغربية. ومن جهة ثانية كان رأي إدارة بوريس يلتسين بأن النظام الدستوري الروسي الجديد لا ينبغي أن يُستمدّ من الأمثلة الغربية. وجادلت إدارة يلتسين بأن الرئيس الروسي لا ينبغي أن يواجه أي ضوابط هيكلية: بدلًا من ذلك يجب أن يقف الرئيس الروسي فوق نظام السلطة التشريعية والتنفيذية والقضائية مثل الملك. شبّه قام أحد مستشاري يلتسين هذا الهيكل الدستوري بشجرة: الرئيس كان الجذع والسلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية هي الفروع. حينها كان سوبتشاك من فريق يلتسين ودفع بشكل كبير نحو رفض تبنّي النموذج الدستوري الغربي. وبعد احتدام النقاش الدستوري وسعي بعض الأطراف للإطاحة بالرئيس يلتسين، أمر يلتسين الجيش الروسي بقصف البرلمان الروسي، وحلّ المحكمة الدستورية، وصادق على النظام الدستوري الذي يعبّر عن توجّهاته بعد إجراء استفتاء شعبي في كانون الأول 1993[67]. كان لسوبتشاك في هذه المرحلة دور رئيسي في صياغة الدستور الجديد للبلاد. فهو كان الأكاديمي القانوني المتفوّق والذي مارس مهنة المحاماة لفترة طويلة وبالتالي يمتلك الخبرة اللازمة للقيام بمهمة المشاركة في كتابة الدستور الجديد لروسيا ما بعد الاتحاد السوفياتي.

8.2 تراجع شعبية سوبتشاك

هناك إجماع على أن السبب الرئيسي الذي أدّى إلى تراجع شعبية سوبتشاك وخروجه من ميدان العمل السياسي هو الوضع داخل مدينته سان بطرسبرغ، التي كثرت فيها الجرائم المنظّمة وقضايا الفساد والمخالفات. وفي بداية عام 1996 أطلق منافسو سوبتشاك حملة كاملة لتشويه سمعته. ونشرت الصحف الروسية حينها فضائح تورّط فيها سوبتشاك بالفساد والمخالفات المالية، واتهموه بسوء إدارة موارد المدينة مما أدى إلى خسائر بمئات الملايين من الدولارات.

---

https://www.proquest.com/docview/250547109?accountid=28281&parentSessionId=Ol8H1VvlHkW%2Bpy%2BLpRAHxVxoeDpObyxtxuEcjs8ViD8%3D&pq-origsite=summon

[67] Svetlana Savranskaya, "Yeltsin Shelled Russian Parliament 25 Years Ago, U.S. Praised "Superb Handling", National Security Archive, 4 October 2018.

https://nsarchive.gwu.edu/briefing-book/russia-programs/2018-10-04/yeltsin-shelled-russian-parliament-25-years-ago-us-praised-superb-handling

ولكن تذكر المصادر في روسيا أن تراجع مسيرة سوبتشاك لم يبدأ على الإطلاق بسبب استياء سكان المدينة، بل إن السبب الأساسي هو رغبة الرئيس الروسي حينها بوريس يلتسين بخروج سوبتشاك من ميدان العمل السياسي. ويذكر سوبتشاك في كتابه "A Dozen Knives in the Back" أنه في عام 1995، تحدّث بوريس يلتسين مع العديد من السياسيين عن سئمه من تولي القيادة فنصحه سوبتشاك بترك منصبه. ويذكر سوبتشاك أن هذه النصيحة كانت "ذنبًا لا يغتفر!"[68]. كما يرى البعض أن سوبتشاك وشعبيته كانت غير مريحة بالنسبة لبوريس يلتسين، الذي كانت فترته الرئاسية الثانية ستتعرّض لتهديد كبير إذا تحرك سوبتشاك إلى الأعلى. لذلك يعتبر سوبتشاك وآخرون أن أمرًا غير معلن صدر من يلتسين لجمع قضايا فساد قام بها سوبتشاك. كما اتّهم سوبتشاك نائبه فلاديمير ياكوفليف بالوقوف وراء نشر كل ما يتعلّق بقضايا متصلة به. وقال في مقابلة معه عام 1996 "عندي خيبة أمل شديدة من بعض الأشخاص من بيئتي الذين خانوني"[69].

وفي انتخابات العام 1996 خسر سوبتشاك بنسبة 1.2 في المئة[70]، وفاز في مقابله نائبه فلاديمير ياكوفليف، الذي اتهمه بخيانته. وقول سوبتشاك في كتابه "A Dozen Knives in the Back": "لا أتمنى حتى لأعدائي تجربة ما مررت به أنا وعائلتي في السنوات الماضية. فجأة تحوّل رجل ذو سمعة جيدة إلى مسؤول فاسد، مضطهد ومتّهم بارتكاب جميع الخطايا المميتة".

في هذه الأثناء تداعى الوضع الصحّي لسوبتشاك وأصيب بثلاث نوبات قلبية خلال فترة زمنية قصيرة. قضى سوبتشاك أسابيع في المستشفيات، وتقول بعض المصادر إن أحد الأطباء اتصل بزوجة سوبتشاك وأخبرها أنه تلقّى أوامر بقتله. لذلك قررت زوجته أن روسيا لم تعد مكانًا آمنًا لزوجها، وفي تشرين الثاني 1997 نقلته إلى فرنسا[71]. عاش سوبتشاك في باريس لمدة عامين حيث تلقّى العلاج الطبي، وقام بالتدريس في جامعة السوربون وكتب العديد من المقالات والكتب.

عاد سوبتشاك إلى روسيا في صيف عام 1999، عندما أصبح فلاديمير بوتين رئيسًا للحكومة. وفي تشرين الثاني من العام نفسه أُسقطت القضية المرفوعة ضده. يذكر سوبتشاك أن الدافع الرئيسي الذي جعله يعود إلى روسيا هو رغبته بإثبات صدقه للجميع، ولم يكن هناك سوى طريقة واحدة لذلك وهي العودة إلى السلطة. حاول سوبتشاك العودة إلى السلطة عبر ترشّحه لمجلس الدوما عام 1999 لكنه لم ينجح وخسر في الانتخابات.

[68] Russiapedia, "Prominent Russians: Anatoly Sobchak".

https://russiapedia.rt.com/prominent-russians/politics-and-society/anatoly-sobchak/

[69] Podarilove, "Biography of Anatoly Sobchak: wife, children of a politician".

https://podarilove.ru/en/sobchak-anatolii-aleksandrovich-biografiya-biografiya-anatoliya-sobchaka-zhena/

[70] بعد أن خسر سوبتشاك في الانتخابات ترك بوتين العمل في سان بطرسبرغ وانتقل للعمل في إدارة بوريس يلتسين في موسكو.

[71] تشير بعض المصادر أن بوتين ساعد سوبتشاك على الهروب من روسيا عبر تنظيم عملية سرّية لتهريبه على متن طائرة طبية إلى فنلندا ثم إلى فرنسا.

وفي عام 2000 تم تعيين فلاديمير بوتين رئيسًا بالإنابة في روسيا، فعيّن ممثلًا سوبتشاك له لإدارة الحملات الانتخابية في منطقة كلينينغراد. توجّه سوبتشاك إلى كلينينغراد في 15 شباط 2000 وبعد 5 أيام وُجد ميّتًا في غرفته في الفندق.

8.3 وفاة سوبتشاك

تتعدّد الروايات التي تتحدّث عن موت سوبتشاك. تقول الرواية الرسمية أن سوبتشاك مات بسبب "قصور في القلب". إلا أن زوجته وأفرادًا مقرّبين منه يصرّون على أنه قُتل. استند العديد ممن تبنّى فكرة أنه قُتل إلى مقابلة أجراها مع صحيفة "كومرسانت" قبل مجيئه إلى كالينينغراد بفترة قصيرة قال فيها: "تلقّيت علاجًا طبيًا مكثفًا في الصيف الماضي وأشعر الآن أنني بحالة جيدة وأنا مستعد للعمل كالمعتاد. كانت هناك محاولات لقتلي، لكن الحمد للّه أنا بصحة جيدة ومليء بالطاقة".

حضر فلاديمير بوتين جنازة سوبتشاك، وعندما سُئل عن رأيه في وفاة أستاذه السابق أجاب: "الآن أنا هنا كرئيس للدولة، لذلك لا يمكنني الإدلاء بتصريحات حادة، ومع ذلك يمكنني إخبارك برأيي العام - أعتقد أن هذا ليس موتًا طبيعيًا"[72].

أُجريت عمليّتا تشريح لجثة سوبتشاك، إحداهما في كالينينغراد بطلب من السلطات الروسية والثانية في سان بطرسبرغ بطلب من زوجته. جاء تقييم التشريح الأول ليقول إن السبب الرسمي للوفاة هو نوبة قلبية قوية جدًا ولكنها طبيعية. أما التشريح الثاني فلم تنشر زوجته نتيجته. ومع ذلك، بعد مرور عشرة أسابيع على وفاة سوبتشاك، فتح مكتب المدعي العام في كالينينغراد تحقيقًا في قضية محتملة تتعلق بـ "القتل العمد بظروف مشدّدة". وبعد ثلاثة أشهر، أُغلق التحقيق دون التوصل إلى نتيجة.

بالعودة إلى باريس، قرّر صحفي استقصائي يدعى أركادي فاكسبيرغ بدء تحقيقه الخاص في وفاة سوبتشاك. لم يكن فاكسبيرغ صديقًا مقرّبًا أو حتى معجبًا كبيرًا بالسياسي الروسي، لكنه كان صحفيًا استقصائيًا يتمتع بخبرة في مثل هذه القضايا.

في عام 2007 نشر فاكسبيرغ كتابًا عن تاريخ حالات التسمّم السياسي في الاتحاد السوفياتي وروسيا. قدّم فاكسبيرغ في كتابه، تحليله القائل بأن سوبتشاك قُتل بسمّ وُضع على المصباح الكهربائي الموجود بجانب السرير، بحيث تم تسخين المادة وتبخّرها عند تشغيل المصباح. هذه تقنية تم تطويرها في الاتحاد السوفياتي. ويستند فاكسبيرغ في كتابه إلى مجموعة أدلّة تثبت بنظره أن سوبتشاك قُتل منها أن اثنين من الحراس الشخصيين لسوبتشاك خضعا لعلاج من التسمّم بعد وفاة سوبتشاك. ويذكر فاكسبيرغ أن هذه كانت

---

[72] Russiapedia, "Prominent Russians: Anatoly Sobchak".

سِمة مميزة لعمليات القتل بالتسمّم: فقد أصيب العديد من السكرتيرات أو الحراس الشخصيين بمرض مماثل عندما قُتل رؤسائهم [73].

8.4 بوتين وسوبتشاك

بدأت علاقة بوتين وسوبتشاك في جامعة لينينغراد. حينها كان بوتين مهتمًا بالقانون المدني ما دفعه لاختيار المادة المتعلّقة بالموضوع والتي كان يدرّسها سوبتشاك. عندما اختار سوبتشاك بوتين ليكون نائبًا له في بلدية سان بطرسبرغ[74] استغرب كثيرون ذلك لأن سوبتشاك كان يتبنّى أفكارًا وتوجّهات ديمقراطية بينما كان بوتين عميلًا سابقًا في المخابرات السوفياتية[75]. وعندما سُئل سوبتشاك عن الموضوع أجاب: "بوتين ليس عميلًا في المخابرات السوفياتية بل هو تلميذي السابق"[76].

خلال عملهما معًا في سان بطرسبرغ، تذكر التقارير والمعلومات أن سوبتشاك كان يثق كثيرًا في بوتين وكان يصرّ على أن يرى توقيع بوتين على أي مستند قبل أن يوقّعه هو. عندما توفّي سوبتشاك كان بوتين أكثر المتأثّرين برحيله. وقد عنونت بعض الصحف غلافها يومها بالقول "اليوم الذي بكى فيه بوتين".

قبل بدء العملية العسكرية الروسية في أوكرانيا بثلاثة أيام ألقى بوتين خطابًا بتاريخ 21 شباط 2022 تحدّث فيه عن كيفية أإنشاء الدولة الأوكرانية وبعض الدول الأخرى التي كانت تابعة للاتحاد السوفياتي. في هذا الخطاب ركّز بوتين على أن الأراضي التي تشكّل اليوم العديد من دول الاتحاد السوفياتي السابق، بما فيها أوكرانيا، أعطيت من قبل الاتحاد السوفياتي وبالتالي هي أراض روسية. كان بوتين قد طرح هذه الفكرة سابقًا في مقال كتبه في تموز 2021، واستند إلى رأي أستاذه الجامعي أناتولي سوبتشاك للتعبير عن موقفه. يكتب بوتين في مقاله أن "التقييم الذي قدّمه أحد أبرز الشخصيات السياسية في روسيا الجديدة، أول عمدة لمدينة سان بطرسبرغ أناتولي سوبتشاك عام 1992، هو أن الجمهوريات التي كانت مؤسِّسة للاتحاد، بعد أن شجبت معاهدة الاتحاد لعام 1922، يجب أن تعود إلى الحدود التي كانت عليها قبل الانضمام إلى الاتحاد السوفياتي.

[73] Masha Gessen, "The best theory for explaining the mysterious death of Putin's mentor", Business Insider, February 17, 2015.

https://www.businessinsider.com/the-mysterious-death-of-putins-mentor-2015-2

[74] خلال عمله في بلدية سان بطرسبرغ، كان بوتين رئيسًا للجنة المدينة للعلاقات الاقتصادية الخارجية المسؤولة عن جذب الاستثمار الأجنبي.

[75] تشير بعض التقارير إلى أن بوتين حينها لم يكن قد ترك المخابرات السوفياتية بل تركها لاحقًا خلال عمله في بلدية سان بطرسبرغ.

[76] Richard Sakwa: Putin Russia's Choice.

ويجب أن تخضع جميع عمليات الاستحواذ على الأراضي الأخرى للمناقشة والمفاوضات"[77]. واعتبر بوتين في مقاله أن هذا الرأي الذي يعبّر عنه "قانونيّ مميّز" مثل سوبتشاك هو التقييم السليم ولكن المشكلة هي أن "البلاشفة شرعوا في إعادة تشكيل الحدود عبر التلاعب بالأراضي حسب رغبتهم متجاهلين آراء الناس". بالإضافة إلى ذلك، يتشارك بوتين وسوبتشاك أيضًا الرأي القائل بأن ملايين الروس وجدوا أنفسهم أقليات في دول أخرى انهيار الاتحاد السوفياتي. ويعتبر الرجلان أن هذه إحدى النتائج الكارثية لانهيار الاتحاد السوفياتي.

9. فلاديسلاف يوريفيتش سوركوف (1964)

> *"قال فلاديسلاف سوركوف في مقابلة صحفية: "أنا مؤلّف أو أحد مؤلّفي النظام الروسي الجديد"*

وُلد فلاديسلاف سوركوف في 21 أيلول 1964 في قرية سولنتسيفو، بمنطقة ليبيتسك الروسية. بدايةً أسماه والداه أصلامبيك دوداييف، وهو من أب شيشاني، اسمه يوري دوداييف، وأم روسية، تدعى زينايدا أنتونوفنا سوركوف. بعد أن تخلّى والده عن العائلة عام 1969 تم تغيير اسمه ليحمل عائلة والدته فأصبح اسمه فلاديسلاف سوركوف. بعد انفصال والديه، انتقلت والدته إلى مدينة ليبيتسك حيث تم تعميده في الكنيسة المسيحية الأرثوذكسية الشرقية.

بين أعوام 1983 و1985، خدم سوركوف في القوات الخاصة لمديرية المخابرات الرئيسية التابعة للجيش السوفياتي (GRU). بعدما أنهى خدمته العسكرية كان سوركوف، في الفترة من منتصف الثمانينيات إلى أوائل التسعينيات، رئيسًا لعدد من المنظمات والشركات غير الحكومية. خلال هذه الفترة درس سوركوف في جامعة موسكو الدولية وتخرّج حاملًا شهادة الماجستير في الاقتصاد في أواخر التسعينيات.

بالإضافة إلى ذلك، شغل سوركوف بين أعوام 1991 و1997 عدّة مواقع إدارية في أكثر من مصرف روسي، آخرها مصرف ألفا بنك حيث كان سوركوف النائب الأول لرئيس مجلس إدارة المصرف. وبعد أن أمضى فترة قصيرة كمدير للعلاقات العامة في قناة ORT التلفزيونية الروسية من 1998 إلى 1999، تم تعيين سوركوف، في عهد يلتسين، في منصب نائب رئيس ديوان رئاسة الجمهورية في العام 1999.

---

[77] Boris Yeltsin Presidential Library, "ARTICLE BY VLADIMIR PUTIN ON THE HISTORICAL UNITY OF RUSSIANS AND UKRAINIANS ", July 12, 2021.

https://www.prlib.ru/en/article-vladimir-putin-historical-unity-russians-and-ukrainians

صورة رقم 1: المسار الزمني للمراكز التي تولّاها سوركوف[78]



أعدّ سوركوف في منصبه الجديد كنائب رئيس ديوان رئاسة الجمهورية، مقترحات للرئيس الروسي بشأن السياسة الداخلية، وأشرف على القضايا المتعلّقة بتنفيذ مشاريع الكرملين داخل روسيا. في عام 2004، عُيّن فلاديسلاف سوركوف مساعدًا للرئيس الروسي فلاديمير بوتين. تضمّنت واجباته الجديدة ضمان تنظيم المعلومات والأنشطة التحليلية لرئيس الاتحاد الروسي بشأن قضايا السياسة الداخلية، فضلًا عن الإشراف على قضايا تتعلّق بالعلاقات بين الأعراق المختلفة داخل الاتحاد الروسي. بالإضافة إلى ذلك، كان يشرف على تفاعل الحكومات المحلية مع سلطات الدولة، والتواصل مع وسائل الإعلام، وعمل مجلس الثقافة والفنون التابع لرئاسة الاتحاد الروسي.

في عام 2008، بعد فوز ديمتري ميدفيديف في الانتخابات الرئاسية الروسية، عُيّن سوركوف في منصب النائب الأول لرئيس ديوان الرئاسة وتم تكليفه بالإشراف على قضايا تحديث البلاد والتطوّر التكنولوجي. وفي عام 2011، عُيّن سوركوف في منصب نائب رئيس وزراء الاتحاد الروسي، فلاديمير بوتين، حيث كان مسؤولًا عن تحديث العلوم والرعاية الصحية والتعليم في البلاد. وفي الوقت نفسه كُلّف الإشراف على المشاريع الوطنية والتنمية السياحية وسياسة الشباب. وبعد عام أصبح سوركوف رئيسًا للجنة الحكومية لتطوير البث التلفزيوني والإذاعي. وفي أيلول 2013 تولّى سوركوف منصب مساعد رئيس الاتحاد الروسي، فلاديمير بوتين، وكان مستشار بوتين حول العلاقات مع أوكرانيا وأوسيتيا الجنوبية وأبخازيا[79]. وبحسب التقارير كانت هذه المهام جزءًا من دوره الأكبر بالإشراف على علاقات الكرملين مع دول الاتحاد السوفياتي السابق.

في 17 آذار 2014، في اليوم التالي لاستفتاء ضم شبه جزيرة القرم إلى روسيا، كان سوركوف واحدًا من أوائل الذين تم وضعهم على لائحة العقوبات الأميركية من قبل إدارة الرئيس باراك أوباما، وقامت واشنطن بتجميد أصوله في الولايات المتحدة ومنعه من دخول الأراضي الأميركية. ردّ سوركوف على ذلك بقوله: "الأشياء الوحيدة التي تهمني في الولايات المتحدة هي توباك شاكور، مغنّي الراب الأميركي، والكاتب ألين جينسبيرغ،

[78] Government of The Russian Federation, "Vladislav Surkov".
http://archive.government.ru/eng/persons/171/

[79] مناطق اعترفت روسيا باستقلالها عن جورجيا بعد الحرب الروسية-الجورجية عام 2008.

والرسام جاكسون بولوك، لست بحاجة إلى تأشيرة للوصول إلى عملهم".[80] وفي 21 آذار 2014، وضع الاتحاد الأوروبي سوركوف على قائمة العقوبات وتم تمنعه من دخول الاتحاد الأوروبي وتجميد أصوله هناك. كانت هذه العقوبات نتيجة للدور البارز الذي لعبه سوركوف في إدارة المجموعات الانفصالية في الدونباس، بصفته صوت الكرملين هناك.

في آذار 2020 وقّع الرئيس الروسي فلاديمير بوتين على مرسوم تسريح سوركوف من مهامه. وتتباين الآراء حول السبب الذي أدّى لخروج سوركوف من الكرملين. فالبعض يقول إن سوركوف هو من تقدّم باستقالته بينما يؤكّد آخرون أن بوتين أراده خارج الكرملين. ولكن هناك إجماع على أن السبب الرئيسي وراء خروج سوركوف من الكرملين هو تباين الآراء بينه وبين بوتين حول إدارة الملف الأوكراني، فسوركوف كان يضغط كي تتبنّى موسكو سياسة أكثر صلابة اتجاه أوكرانيا.

9.1 الديمقراطية السيادية

من وجهة نظر الكرملين، السيادة ليست حق، بل هي قدرة. فالسيادة باعتقاد الروس تعني الاستقلال الاقتصادي والقوة العسكرية والهوية الثقافية. بالإضافة إلى هذه العناصر الثلاثة هناك عنصر أساسي آخر للدولة ذات السيادة هو النخبة "ذات العقلية الوطنية". إن طبيعة النخبة بالنسبة لمنظّري الكرملين هي المكوّن الحاسم للدولة ذات السيادة. وعليه، فإن الحاجة إلى نخبة ذات عقلية وطنية تتطلّب نظرية ديمقراطية ذات عقلية وطنية.

في كلمة ألقاها سوركوف أمام تجمّع لحزب روسيا الموحّدة، الحزب الحاكم في روسيا، في 22 شباط 2006، استخدم مصطلح "الديمقراطية السيادية" للمرّة الأولى. اعتبر سوركوف أنه لا توجد ديمقراطية عالمية، ولكن هناك أشكال محددة فقط تعكس تقاليد الدولة وثقافتها السياسية. والديمقراطية السيادية وفقًا لسوركوف هي الحياة السياسية للمجتمع حيث يتم اختيار وتشكيل وتوجيه السلطات ومؤسساتها وأفعالها من قِبل الأمّة الروسية بكل تنوّعها بغرض الوصول إلى الرفاهية المادية والحرية والعدالة لجميع المواطنين والفئات الاجتماعية[81]. كما أن الرسالة العامة للديمقراطية السيادية هي أن روسيا دولة ديمقراطية ويجب ألا تشكّك أي

---

[80] People Pill, "VLADISLAV SURKOV"
https://peoplepill.com/people/vladislav-surkov

[81] Vladislav Surkov, "Nationalization of the Future", Wayback Machine, 2006.
https://web.archive.org/web/20061205211300/http://www.expert.ru/printissues/expert/2006/43/nacionalizaciya_buduschego/

دولة في هذه الحقيقة أبدًا وإلا سينظر الكرملين إلى مثل هذا الإجراء على أنه تدخّل غير مرغوب فيه في شؤونه الداخلية.

بعد كلمة سوركوف هذه بدأ مصطلح الديمقراطية السيادية يُتداول بشكل كبير في الأوساط السياسية والإعلامية في روسيا، وبات يُعتمد لتعريف شكل الحكم في البلاد. يجادل الكرملين بأن التدخّل الغربي، مثل دعم الثورات الملوّنة، فرض المفاهيم الغربية للديمقراطية على المواطنين الروس، وهذا التدخّل هو محاولة للتأثير على المؤسسات السياسية الروسية. خلال سنوات حكمه، أكّد بوتين على ترسيم الحدود بين الديمقراطية الروسية السيادية والديمقراطية الليبرالية الغربية. كما اعتبر كثيرون أن تبنّي موسكو لمفهوم الديمقراطية السيادية شكّل دفاعًا لها ضد النقد الدولي، لأن التشكيك في الديمقراطية السيادية، والسياسات التي قادتها أيضًا، سيكون بمثابة انتقاد للتاريخ الاجتماعي والثقافي الروسي.

> ***"لا توجد ديمقراطية عالمية، ولكن هناك أشكال محددة فقط تعكس تقاليد الدولة وثقافتها السياسية"***

9.2 سوركوف وبوتين

يقول سوركوف: "أثناء عملي في الكرملين وفي الحكومة عملت بمواضيع متعلّقة بالأيديولوجيا والإعلام والأحزاب السياسية والدين والتحديث والابتكار والعلاقات الخارجية والفن الحديث"[82]. لا شك في أن سوركوف كان له دور رئيسي في السياسة الداخلية والخارجية الروسية طوال 20 عامًا قضاها بالقرب من بوتين. فقد ساعد سوركوف في إعادة تشكيل الساحة السياسية من خلال التدخّلات المختلفة في تشكيل التشريعات الخاصة بالأحزاب، ثم في إدارة العملية الانتخابية ومراقبة وسائل الإعلام. ويقول بيتر بوميرانتسيف، أحد الأشخاص الأكثر تتبّعًا لسوركوف، "ساعدت خلفية سوركوف في مجال الإعلان على إعادة تشكيل الرأي العام، ورسم قشرة مذهّبة من الليبرالية على النوايا غير الليبرالية للسلطة الروسية"[83]. لذلك يمكن القول إن سوركوف كان مساهمًا رئيسيًا في تعزيز قبضة بوتين على السلطة في الداخل ورسم صورة الرئيس الروسي القوي أمام الرأي العام في روسيا.

كما أن سوركوف هو السياسي الذي يُستشهد به على نطاق واسع في روسيا باعتباره الشخص الذي أثّر كثيرًا على سياسة بوتين الخارجية وخاصة في المرحلة الأخيرة التي أدّت إلى الصراع في أوكرانيا. فالرجل مدفوع بحس قومي قوي ويعتبر أن روسيا قوّة عظمى يجب أن تعود على الساحة الدولية. كما أنه من مؤيّدي فكرة

---

[82] Peter Pomerantsev, "The Hidden Author of Putinism: How Vladislav Surkov invented the new Russia", The Atlantic, November 7, 2014.
https://www.theatlantic.com/international/archive/2014/11/hidden-author-putinism-russia-vladislav-surkov/382489/

[83] Whitney Milam, "Who is Vladislav Surkov?", Medium, July 14, 2018.
https://medium.com/@wmilam/the-theater-director-who-is-vladislav-surkov-9dd8a15e0efb

أنه لا يوجد شيء اسمه "أوكرانيا". لذلك كان سوركوف دومًا مؤيّدًا لاتباع سياسة صلبة اتجاه السلطة الأوكرانية. وتشير تقارير إلى أنه كان من الأشخاص الرئيسيين الذين ضغطوا داخل الكرملين لضم شبه جزيرة القرم عام 2014. وفي مقال له نشره عام 2021، أي بعد أن غادر الكرملين، تحدّث سوركوف عن النزعة التوسّعية لروسيا واعتبر أن التوسّع هو مصير روسيا. واستشهد في مقاله بضم القرم، حيث اعتبر أن عمليات مماثلة ستحدث في المستقبل.

قال عنه ميخائيل بروخوروف الملياردير الروسي المُعارض لبوتين: "هناك رجل في هذا البلد قام منذ فترة طويلة بخصخصة النظام السياسي، وهو يمارس الضغط على وسائل الإعلام، ويحاول التلاعب بآراء المواطنين"[84]. من الواضح أنه كان لسوركوف دور رئيسي في مساعدة بوتين على تعزيز سيطرته على الدولة، وبناء رأي عام مؤيّد له، وعزل المعارضين الذين قد يشكّلون تهديدًا مستقبليًا له.

"اعتبر سوركوف أن بوتين ليس فقط رئيسًا لدولة بل تحوّل إلى إيديولوجيا ستستمر في المستقبل"

يقول سوركوف: "إذا سُمح لليبرالية بالدخول إلى روسيا فإن نفس الأحداث التي سبقت انهيار الاتحاد السوفياتي ستعود إلى روسيا. وهذا هو آخر شيء يريد بوتين حدوثه. لذلك سيواجه أولئك الذين يحلمون بروسيا ليبرالية خيبة أمل كبيرة. لن تكون روسيا بوتين هكذا أبدًا"[85]. هذا ليس رأي سوركوف وحده، بل هو يعبّر عن مخاوف بوتين أيضًا.

وفي مقال له عام 2019 كتب سوركوف: "اعتبارًا من الآن، تكتسب ماكينة بوتين السياسية العظيمة الزخم وتوفّر الإعداد للعمل الطويل والصعب والمثير للاهتمام. لم تصل ماكينة بوتين السياسية إلى القوة الكاملة. هذه النقطة لا تزال بعيدة المنال. لكن بعد سنوات عديدة من الآن ستظل روسيا دولة بوتين، بالطريقة التي لا تزال بها فرنسا المعاصرة تطلق على نفسها اسم جمهورية ديغول الخامسة، والطريقة التي لا تزال تركيا (على الرغم من أن من هم في السلطة الآن معادون للكماليين) تعمل على أيديولوجية أتاتورك، والطريقة التي لا تزال فيها الولايات المتحدة حتى يومنا تستند إلى الآباء المؤسسين"[86]. في هذا المقال المعنون "دولة بوتين الدائمة"، اعتبر سوركوف أن بوتين ليس فقط رئيسًا لدولة بل تحوّل إلى إيديولوجيا ستستمر في المستقبل.

---

[84] Whitney Milam, "Who is Vladislav Surkov?", Medium, July 14, 2018.
https://medium.com/@wmilam/the-theater-director-who-is-vladislav-surkov-9dd8a15e0efb

[85] Igor Fedyk, "The Exporters of Chaos", New Geopolitics Research Network, November 28, 2021.
http://altanalyses.org/en/2021/11/28/the-exporters-of-chaos/

[86] Vladislav Surkov, "Putin's Lasting State", Nezavisimaya,
http://www.bewilderingstories.com/issue810/putins_state.html

الخاتمة:

لا شك في أن فلاديمير بوتين أخذ على عاتقه مهمّة تحديد مكانة روسيا العالمية. وهو منذ استلامه السلطة في العام 2000 يعبّر تدريجيًا عن تطلّعاته وطموحاته السياسية. وفي اعتقاده أن روسيا قوّة عظمى يجب أن تأخذ مكانها الطبيعي في النظام العالمي. هذا التوجّه مرتبط بخلفيّة فكرية وتاريخية راسخة في عقله استنبطها من خلال تأثّره بمجموعة من النخب الفكرية والسياسية والعسكرية التي عاصرت باختلافها روسيا الإمبراطورية وصولًا لروسيا الحديثة اليوم. من هنا يصبح من الضروري البحث عن هذه الشخصيات والتعمّق بمسار حياتها ودراسة أهم الأفكار التي طرحتها. وذلك أن لهذه الشخصيات دورًا رئيسيًا في صياغة "البوتينية" التي تقود روسيا اليوم.

بعد أن عرض هذا البحث أبرز الشخصيات تأثيرًا على الرئيس الروسي يمكن القول إن بوتين شخصيّة مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالتاريخ والحضارة والقيم الروسية. وهو بعيد كل البعد عن الليبرالية وما تعكسه من أفكار. قد يكون براغماتيًا في بعض الأحيان ولكنه محافظ في الوقت ذاته ومع مرور الوقت تبرز شخصيّته المحافظة أكثر فأكثر. ولا شك أيضًا في أن الرئيس بوتين قارئ ممتاز لتجارب النخب السياسية السابقة، كما أنه مهتم جدًا بطروحات النخب الفكرية التي عاصرت الإمبراطورية الروسية والاتحاد السوفياتي. فالتصدّي لمهمّة تحديد موقع روسيا في النظام العالمي تتطلّب فهمًا معمّقًا للتجارب السابقة، ورؤية واضحة لموقع روسيا التاريخي. وكما قال إيفان إيليين، فإن مهمّة روسيا هي حماية الحضارة والخير من خلال إنتاج قائد عظيم ينقذ روسيا ويهزم الآخر الشرير.

References

- Anglesey, Anders, "Who Is Vladislav Surkov? Putin Ally Reportedly Under House Arrest", News Week, 13 April 2022.
- Boris Yeltsin Presidential Library, "PYOTR STOLYPIN: WE NEED GREAT RUSSIA!", April 14, 2020.
- Cavendish, Richard, "Pyotr Stolypin assassinated in Kiev", History Today, September 9, 2011.
- Chicago Public Library, "Aleksandr Solzhenitsyn Biography", April 30, 2006.
- Ellison J., Herbert "Karamzin's Memoir on Ancient and Modern Russia by Richard Pipes", The Western Political Quarterly, September 1960.
- Filatova, Irina "LETTER: Putin's ideological mentor", Business Day, April 7, 2022.
- Hess, Maximilian, "Vladislav Surkov leaves the stage", UnHerd, April 19, 2022.
- Hill, Fiona & Gaddy, Clifford "Mr. Putin: Operative in the Kremlin", Brookings, 2013.
- HVLI, "Pyotr Stolypin."(1911-1862)
- Kremlin, "Vladimir Putin Biography."
- Lenta, "Surkov, Vladislav Vice Prime Minister, Chief of Staff of the Government of the Russian Federation."
- Llewellyn, Jennifer & Thompson, Steve, "Pyotr Stolypin", Alpha History, May 22, 2019.
- Llewellyn, Jennifer, McConnell, Michael &Thompson, Steve, "The October Revolution", Alpha History, June 4, 2016.
- McIlhagga, Samuel, "History Stokes Putin's Dream of a 'Greater Russia'", New Lines Magazine, April 4, 2022.
- MSK, Global, "Surkov Vladislav Yurievich ."
- Mulholland, Daniel, "White against Red: The Life of General Anton Denikin by Dimitry V. Lehovich", Russian History, 1977.
- New World Encyclopedia, "Alexander Solzhenitsyn."
- New World Encyclopedia, "Nikolay Karamzin."
- Nikolai Karamzin, "ABOUT ANCIENT AND NEW RUSSIA IN ITS POLITICAL AND CIVIL RELATIONS", Boris Yeltsin Presidential Library, 1811.
- Partlett, William. "A Russian Constitutional Revolution", Brookings, February 1, 2012

- Pearce, Joseph, "The Voice of a Prophet: Solzhenitsyn on the Ukraine Crisis", The Imaginative Conservative, February 23, 2022 .
- Podarilove, "Sobchak Anatoly Alexandrovich. Biography. Biography of Anatoly Sobchak: wife, children of a politician."
- Poltoratzsky, Nikolai "The Russian Idea of Berdyaev", The Russian Review, April 1962.
- Pravda, "Ivan Ilyin about Stalin and Viktor Yanukovych (130 years since birth)", May 29, 2013 .
- Radio Free Europe, "Putin Fires Longtime Aide, Ex-Ukraine Peace Negotiator Surkov", February 18, 2020.
- Rascoe, Ayesha, "Russian intellectual Aleksandr Dugin is also commonly known as 'Putin's brain'", NPR, March 27, 2022.
- RosCongress, "Vladimir Putin."
- Russiapedia, "Prominent Russians: Aleksandr Solzhenitsyn."
- Russiapedia, "Prominent Russians: Anatoly Sobchak."
- Russiapedia, "Prominent Russians: Nikolay Karamzin."
- Russiapedia, "Prominent Russians: Pyotr Stolypin."
- Rutland, Peter, "PUTIN'S PATH TO POWER", European University in St. Petersburg, 2000.
- Sakwa, Richard, "Surkov: dark prince of the Kremlin", Open Democracy, April 7, 2011.
- Saunders, Paul, "A New Putin Biography: Rich Stories of Early Life, and Some Needless America Bashing", Russia Matters, October 26, 2022.
- Savranskaya, Svetlana, "Yeltsin Shelled Russian Parliament 25 Years Ago, U.S. Praised "Superb Handling", National Security Archive, October 4, 2018.
- Sharpe, Matthew, "Alexander Dugin, Eurasianism, and the American election", The Conversation, November 13, 2017.
- Simkin, John, "Anton Denikin", Spartacus Educational, September 1997.
- Simkin, John, "Peter Stolypin", Spartacus Educational, September 2021.
- Solzhenitsyn, Alexandr, "Alexandr Solzhenitsyn Biography", The Nobel Foundation, 1970.
- Spiridonov, Denis, "Ivan Ilyin: exile and patriot", Kultura. RF .

- Surkov, Vladislav, "Putin's Lasting State", Nezavisimaya, February 1, 2019.
- Taylor, Brian, "The Code of Putinism", PONARS Eurasia, November 2015.
- The Journal of the International Institute, "St. Petersburg Mayor Anatoly Sobchak at U-M", Spring 1995.
- Ukraine Today, "Vladislav Surkov wrote a new article. He warned about the danger of the "ideology of silence", but he assured that in Russia the vertical, order and braces are guaranteed", November 20, 2021.
- University Library Online, "Dugin Alexander Gelievich."
- UOFA, "Anatoly Sobchak: biography, personal life, family, wife, children - Photo. Who was the father of Ksenia Sobchak! important! Native father Sobchak", April 29, 2021.
- Whitmore, Brian, "Stolypin and Andropov: The Angel and Devil on Vladimir Putin's Shoulders?", The Atlantic, November 28, 2012.
- Yakovlev, Andrei, "Russian modernization: Between the need for new players and the fear of losing control of rent", Journal of Eurasian Studies, January 2014.
- Yarmolenko, Oleksiy. "Putin often quotes the philosopher Ivan Ilyin and General Anton Denikin. They lived a century ago, both denied Ukraine's independence and advocated dictatorial rule. And this is how they described", Бабель, 6 April 2022.
- Yourgrau, Barry, "The Literary Intrigues of Putin's Puppet Master", The New York Review, January 22, 2018.
- 24 smi, "Alexander Dugin."

الأعداد السابقة:

العدد	العنوان	التاريخ
العدد 1	الشيعة في البحرين	تموز 2011
العدد 2	المسلمون في فرنسا	أيلول 2011
العدد 3	الحركات السلفية في الدول العربية	تشرين الثاني 2011
العدد 4	الأقباط	تشرين الثاني 2011
العدد 5	الانتخابات النيابية في تونس	كانون الأول 2011
العدد 6	الحزب الشعبي الجمهوري التركي	كانون الأول 2011
العدد 7	حركة النهضة الإسلامية في تونس	تشرين الثاني 2012
العدد 8	الأحزاب الإسلامية في تركيا	كانون الأول 2012
العدد 9	الأزهر	كانون الأول 2012
العدد 10	أهم القوى السياسية في ليبيا بعد الثورة	كانون الثاني 2013
العدد 11	الحركات الإسلامية في الأردن	آذار 2013
العدد 12	أبرز العشائر السورية	نيسان 2013
العدد 13	المجموعات القتالية في سوريا	أيار 2013
العدد 14	مواقف المعارضة السورية من حزب الله	آب 2013
العدد 15	تظاهرات ساحة تقسيم – إسطنبول	أيلول 2013
العدد 16	حركة تمرّد المصرية	تشرين الأول 2013
العدد 17عدد خاص	مجازر الوهابية عبر التاريخ	تشرين الأول 2014
العدد 18	جمهورية القرم	أيار 2014
العدد 19	الأقليات في تركيا	أيلول 2014
عدد خاص	داعش	أيلول 2015
العدد 20 عدد خاص	خطوط النفط	شباط 2016
العدد 21	جماعة فتح الله غولن	تشرين الأول 2016
العدد 22	خطاب الرئيس الأميركي المنتخب دونالد ترامب حول السياسة الخارجية الأميركية	تشرين الثاني 2016
العدد 23	إدارة دونالد ترامب: مجلس الأمن القومي وأبرز المستشارين	نيسان 2017
العدد 24	رؤية المعارضة لتجربة المجالس المحلية	تشرين الأول 2017
العدد 25	القضية الفلسطينية وحل الدولتين	تشرين الأول 2017
العدد 26	مأساة مسلمي الروهينغا في ميانمار	كانون الأول 2017
العدد 27	الشيعة في باكستان	كانون الأول 2017
العدد 28	مسح شامل للعقوبات الأميركية على حزب الله	تموز 2018
العدد 29	الأزمة الخليجية في عامها الأول	تموز 2018

العدد	العنوان	التاريخ
العدد 30	جماعة الخوذ البيضاء في سوريا	تشرين الأول 2018
العدد 31	أبرز وقائع التعامل المعلن بين الكيان الإسرائيلي وفصائل من المعارضة السورية 2011 - 2018	تشرين الثاني 2018
العدد 32	المكوّنات السياسية في جنوب اليمن	كانون الأول 2018
العدد 33	قراءة في نتائج انتخابات الكونغرس النصفية لعام 2018	شباط 2019
العدد 34	استراتيجية الإمارات البحرية	آذار 2019
العدد 35	صعود اليمين المتطرف في أوروبا، أبرز العوامل والشخصيات والأفكار	أيار 2019
العدد 36	التدخل الإماراتي في اليمن: الأدوار والمصالح	تموز 2019
العدد 37	الحملات المعادية لحزب الله في ألمانيا	تشرين الأول 2019
العدد 38	وزارة الخزانة الأميركية الجهات والشخصيات والبرامج ذات الصلة بالعقوبات المالية	كانون الأول 2019
العدد 39	بعض أوجه التمويل الأميركي لمنظمات مدنية في لبنان	كانون الثاني 2020
العدد 40	مؤشرات عن واقع الولايات المتحدة الاميركية	تموز 40
العدد 41	سدّ النهضة: النظام القانوني، والمفاوضات، والتمويل	أيلول 2020
العدد 42	العوامل المؤثّرة في حياد الدول: تجارب عالمية	أيلول 2020
العدد 43	بعض أوجه تمويلات الاتحاد الأوروبي لمنظمات من المجتمع المدني في لبنان	تشرين الأول 2020
العدد 44	سقطرى اليمنية.. مفتاح البحار السبعة	تشرين الأول 2020
العدد 45	العُملة الرقمية الصينية: نظرة عامة حول السوق والتكنولوجيا والآثار المحتملة	تشرين الأول 2020
العدد 46	الميليشيات المسلّحة في أميركا النشأة والإشكال القانوني، والتقديرات الأمنية	تشرين الثاني 2020
العدد 47	مواقف الرئيس الأميركي المنتخب جو بايدن ونائبته حول الشرق الأوسط	تشرين الثاني 2020
العدد 48	السِيَر الشخصية لأبرز أعضاء إدارة الرئيس الأميركي جو بايدن	شباط 2021
العدد 49	فريق الشرق الأوسط في الخارجية الأميركية ومجلس الأمن القومي	نيسان 2021
العدد 50	اللجنة الدستورية السورية: التأسيس، التشكيل، الاجتماعات، آراء الدول	آذار 2021
العدد 51	"فلسطينيو الداخل" 1948 وهبّة سيف القدس، العوامل والظروف والمسار	تموز 2021
العدد 52	الأزمة في تونس، الخلفيات والسياق والمواقف	أيلول 2021
العدد 53	بهاء الحريري: وثائق مرتبطة بجماعة ضغط أميركية (عدد خاص)	شباط 2022
العدد 54	حرب المعلومات، تكتيكات وتقنيات التأثير والتضليل المعادي	آذار 2022
العدد 55	استعمال الولايات المتحدة الأميركية القوة العسكرية في الخارج 1798-2022	حزيران 2022



مؤسسة علمية متخصّصة تُعنى بحقلي الأبحاث والمعلومات، وتهتم بالقضايا الاقتصادية والاجتماعية وتواكب المسائل الاستراتيجية والتحوّلات العالمية المؤثّرة.

هاتـف : 01/836610 فاكس : 01/836611 خليوي : 03/833438

البريد الإلكتروني :
dirasat@dirasat.net
www.dirasat.net

الرمز البريدي :
Baabda 10172010
P.O.Box : 24/47
Beirut - Lebanon